المفكّر العربي

الثورة الفلسطينية

أبعادها وقضاياها

تأليف:

ناجي علوش

الطبعة الثانية

دار الطليعة - بيروت

الثورة الفلسطينية

أبعادها وقضاياها

حقوق الطبع محفوظة

لدار الطليعة ـ بيروت ص.ب ١١١٨١٣

الطبعة الاولى
حزيران (يونيو) ١٩٧٠

الطبعة الثانية
ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨

ناجي علوش

الثورة الفلسطينية

أبعادها وقضاياها

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

المحتويات

مقدمة الطبعة الثانية ٥

● **حرب الشعب في المرحلة الراهنة**
اهمية حرب الشعب في المرحلة الراهنة ٢٥
قضية فلسطين وحرب الشعب ٢٩

● **الثورة الفلسطينية وأبعادها الوطنية والطبقية** ٤٢
هل الثورة الفلسطينية حركة قومية عربية ٤٧
ما هو المطلوب من الثورة الفلسطينية ، وما
هو المطلوب من الوطنيين العرب ٥٩
الابعاد الطبقية للثورة الفلسطينية ٦٦
حركة التحرر الوطني وبناء حزب البروليتاريا ٧٣

● **الثورة الفلسطينية وقضاياها الاساسية** ٨٠
انتهاج خط سياسي سليم ٨٢
الجبهة الوطنية .. الوحدة الوطنية ٩٤
العلاقات مع الجماهير العربية ١٠٥

مقدمة الطبعة الثانية

ـ ١ ـ

كتب هذا الكتاب الذي نقدم له في ايار سنة ١٩٧٠ ، وصدر في حزيران من العام عينه . ولقد كان الهدف من كتابته تسليط الاضواء على « الثورة الفلسطينية ابعادها وقضاياها » وسط نقاشات واسعة « وبابلية » ، حول الكثير من القضايا ، ومن بينها قضية الحزب والجبهة والكفاح المسلح والعلاقة مع الجماهير العربية :

ولقد مرت سنوات ثمان ، حدثت فيها تطورات كثيرة . وكان من اهم هذه التطورات على الصعيدين الفلسطيني والعربي :

١ ـ انفجار الصراعات الدموية في الاردن في حزيران (٦ ـ ١٢ / ٦) سنة ١٩٧٠ . ثم معركة ايلول (٢٨ آب ـ ٢٨ ايلول) ، والحملات الرجعية التي تلتها ، والتي ادت الى خروج المقاومة من الاردن .

٢ ـ وفاة الرئيس جمال عبدالناصر ، ووصول السادات الى رئاسة الجمهورية ، وتحول السياسة المصرية باتجاه خط مشروع روجرز ، اي خط التسوية ضمن المناورة مع الولايات المتحدة الاميركية .

٣ ـ بروز اتجاهات فلسطينية في قيادة منظمة التحرير تنتقد التصدي لمشروع روجرز والخلاف مع السياسة المصرية . وتدعو الى التوافق معها . ما لبثت ان تحولت كما سنرى الى التوافق شبه الكامل مع سياسة التسوية العربية ، وخاصة بعد حرب تشرين .

٤ ـ اعلان حرب تشرين سنة ١٩٧٣ والنتائج المختلفة التي انتجتها .

٥ ـ انشقاق الساحة الفلسطينية والعربية ، بعد حرب تشرين ، حول قضية التسوية وكيفية مواجهتها .

٦ ـ تصاعد النضال السياسي والكفاح المسلح في الارض المحتلة ، واتساع نطاق الدوائر المؤيدة للقضية الفلسطينية ،ولكفاح العرب من اجل استعادة اراضيهم .

٧ ـ الصدام الذي حدث في لبنان في ايار سنة ١٩٧٣ مع الجيش اللبناني ، ثم الحرب التي بدأت في ٧٥/٤/١٣ وتوقفت في نهاية تشرين الاول سنة ١٩٧٦ ، والتي خاضت فيها المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية معارك مختلفة ، وعلى جبهات مختلفة .

اما على الصعيد الدولي ، فقد حدثت تطورات هامة ـ ابرزها اشتداد ازمة النظام الامبريالي العالمي ، نتيجة ازماته الداخلية ، والصراعات بين القوى الاساسية فيه ، والحركات الثورية والديمقراطية في العالم الثالث . وقد كان من نتيجة هذا التدهور ان دخلت الصين الامم المتحدة (١٩٧٢) واصبح بامكان الشعوب ان تحقق المزيد من الاستقلال والقدرة على الحركة في معالجة قضاياها . ولقد جاء انتصار شعوب الهند الصينية ليؤكد قدرة الشعوب على تحدي الامبريالية الاميركية ، اعتى قوة امبريالية في العالم وفي التاريخ وهزيمتها .

ان الشعب الفلسطيني والامة العربية جمعاء ما زالا يواجهان اليوم الاحتلال الصهيوني لفلسطين وسيناء والجولان ، ولكن ضمن ظروف جديدة . فما هي هذه الظروف ؟ وكيف يمكن ان تمضى

المواجهة قدما ؟ وما اهمية القضايا التي طرحها الكتاب ؟

- ٢ -

لقد استطاع الشعب الفلسطيني ان يجتاز محنة التصفية في الاردن ، خلال معاركه مع السلطة الاردنية من السادس من حزيران سنة ١٩٧٠ الى منتصف تموز سنة ١٩٧١ . وعلى الرغم من ان الثورة فقدت مواقعها في الاردن ، الا انها حافظت على بقائها .

وعاشت الثورة ازمة خانقة بعد ايلول . فقد ضربت في الاردن ، وبدأت المحاولات لدفعها باتجاه التصفية ، من خلال تمزيقها من الداخل ، وتوجيه الضربات اليها من الخارج . واستندت مساعي تمزيقها على امرين : اولهما يتلخص بدفعها نحو التكيف مع الانظمة عموما ومصر خصوصا ، وثانيهما : يتلخص بطرح « اطروحات » تصفوية باسم الواقعية والمرحلية والتحليل العلمي الخ . ولم تكن هذه المساعي في الحالتين مختلفة نوعا ، ذلك انها كلها تمثل الاتجاه نحو التكيف مع بعض الاتجاهات العربية والدولية الرامية الى ايجاد تسوية لقضية الصراع العربي ـ الصهيوني .

ونجحت هذه المساعي في زعزعة الموقف السياسي الفلسطيني. فبدأ نقد الموقف من مشروع روجرز (الاهرام ٢٠ / ١ / ٧١) . ثم بدأت بعض الاصوات تنطلق منادية بانتهاج خط واقعي ، والابتعاد عن الجمل الثورية ، وطرح موضوع الموافقة على التقسيم ثم ما لبث هؤلاء ان اعتبروا مشكلة الشعب الفلسطيني متجسمة بكلمة لا (فيصل حوراني : روز اليوسف) . وما لبثت جهات متعددة ان طرحت دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة ، على اساس تسوية سياسية . وكان هذا كله استمرارا للخط الذي طرح شعار التقسيم سنة ١٩٤٧، ودافع عنه بعد ذلك ، ومواصلة لكل مساعي

التسوية السياسية التي عرفها شعبنا منذ سنة ١٩١٧ .

وجاءت حرب تشرين ، فاهتز الموقف الفلسطيني كثيرا . ذلك ان مصر اوجدت شعورا داخل المقاومة ، قبل حرب تشرين ، بأن هناك حربا ستقع ، وبأنها ستتوج بحل سياسي . وان على الفلسطينيين ان يحددوا ماذا يريدون (١) . ايريدون ان يكونوا طرفا ، او يريدون ان يكون الملك حسين بديلا عنهم .

وحين حدثت حرب تشرين جرى العمل على تعميق هذا الشعور ، وكانت بعض الوقائع تدفع باتجاه تكريس هذا الواقع . وزاد من تعقيد الامر ان الولايات المتحدة الاميركية تدخلت خلال الحرب لمنع تدهور الموقف الصهيوني ، من جهة ، وللايحاء بانها تعمل من اجل السلام من جهة اخرى . واكد الاتفاق الاميركي ـ السوفياتي امكانية تحقيق سلام ، واخذ السوفيات يعبئون باتجاه ضرورة فرض سلام ، يكون للشعب الفلسطيني فيه وجوده وسلطته . وزاد ذلك كله الموقف الفلسطيني اهتزازا ، ذلك ان بعض الاوساط القائدة ، اخذت تدعو الى « تبني » حل مرحلي . وتؤكد ان الحل قادم ، وان التسوية حتمية ، وان استمرار التمسك باللاءات التاريخية نوع من الخيال . ومرت الاشهر الثلاثة التالية على حرب تشرين ، والموقف الاميركي السوفياتي يبدو موحدا ، ودعاة الحل المرحلي ، والتسوية السياسية ، يشيدون بموقف الانظمة الوطنية ، ومنها مصر .

الا ان الموقف بدأ يتضح . لقد مرت اشهر قبل ان يتحقق اول فك ارتباط على الجبهة المصرية . وعلى الرغم من انه اتاح بدء العمل لفتح القناة ، الا انه جاء جزئيا ومحدودا و« اصغر » مما توقع الذين توهموا وجود امكانية حل سياسي . وعندما انتقل الحديث

---

(١) وهنا طرح السادات ، وقبل حرب تشرين بأيام على قيادة فتح الخيارات الخمس : الملك حسين ، او فتح ، او قيادات الداخل ، او مشاركة منظمة التحرير لقيادات الداخل ، او مشاركتها النظام الاردني في الحل ...

الى فك الارتباط على الجبهة السورية زاد الامر تعقيدا . وبدا واضحا ان الاميركيين حريصون على استبعاد السوفيات ، شأنهم شأن العدو الصهيوني ، وانهم يريدون الاتجاه على طريق حل جزئي منفرد ، والدفع نحو علاقات ثنائية مصرية ـ صهيونية ،وسورية ـ صهيونية .

اثار هذا التوجه السوفيات من جهة ، واقلق النظام السوري والمقاومة من جهة اخرى . ودفع السوفيات وبعض القوى المتفقة معهم ، الى البدء بالهجوم على الحل الاميركي ، والتشكيك بالسياسة المصرية . وما لبث ان تحول دعاة الحل المرحلي والسلطة الوطنية الى الهجوم على الحل الاميركي والتسوية الاميركية .

وكانت القواعد الواسعة من القوى الوطنية الفلسطينية والعربية ، قد وقفت موقفا صلبا من هذا التوجه من البدء ، فردت على اطروحاته وفندتها ، وكشفت حقيقته ، واظهرت ان اطروحات المرحلية والواقعية وما شابه ، ستكون ستارا لمشاريع التسوية الاميركية .

وقد ادى صراع الخطين الى بلبلة كبيرة في الساحة الفلسطينية ، واضعف الموقف الفلسطيني امام المؤامرات ، واقنع المتآمرين بأن اقتتال الفلسطينيين اصبح وشيكا ، وتصفية الثورة الفلسطينية باتت قريبة .

ومع ذلك فان الثورة استطاعت ، نتيجة العمل المتواصل لبناء الخلايا في الداخل ، وتأجج مشاعر الشعب في الارض المحتلة، وبعد حرب تشرين خاصة ، ان تصعد عملياتها العسكرية هناك وان تحظى بمزيد من التأييد والالتفاف الجماهيري ، وقد قاد ذلك كله الى هبات جماهيرية واسعة . كما ان نمو الروح القتالية البطولية لدى قواعد ثورتنا ، واحساس القوى السياسية المختلفة بضرورة اثبات وجودها في المعركة القائمة ، قاد الى ارتفاع مستوى روح التضحية والفداء ، والى تزايد عدد العمليات الانتحارية التي هزت معنويات العدو، ولفتت انظار العالم الى الشعب الفلسطيني وقضيته، وهزت

نظرية الامن لدى دولة العدو .

ولقد استطاع الشعب الفلسطيني ان يحافظ على وحدته، ولم يستطع النظام الاردني او العدو الصهيوني انيستقطب اية فئة منه، على الرغم من كل الجهود التي بذلت . وكانت وحدته ، مصدر قوة له ، وضربة لمخططات تفتيت قواه .

ولقد قاد صمود الشعب الفلسطيني ، والتفاف الجماهير العربية حول المقاومة الفلسطينية وزيادة احساس الرأي العام العالمي بعدالة القضية الفلسطينية الى انتصارات كبرى على الصعيد العالمي وتمثلت هذه الانتصارات في اتساع اطر العنف والتأييد، وبالاعتراف الرسمي المتزايد ، وبقرارات الامم المتحدة .

ان الثورة الفلسطينية ما زالت باقية ، بعد ثماني سنوات من معركة ايلول ١٩٧٠ . ولكنها تواجه ظروفا جديدة ، بعد قمتي الرياض والقاهرة ، والاجتياح الصهيوني للجنوب اللبناني وصدور القرار ٤٢٥ .

- ٣ -

ان هذه الظروف تتجلى في مجالات ثلاثة :

الاول : على الصعيد الفلسطيني ، ان الثورة الفلسطينية تواجه على الصعيد الفلسطيني اشكالا اساسيا يتعلق بوحدة جبهتها. لقد خرجت الثورة من معركة ايلول مثخنة ، ومهدد بانفراط جبهتها . فمن جهة كان هناك خلاف حول الموقف من ايلول ومواجهة النظام الاردني ، وكان من جهة اخرى هناك شعور بأن هناك مأزقا يجب الخروج منه ، وبأن الخط الرسمي المتبع لا يؤدي الى الخروج من المأزق . ثم جاءت المحاولات التي رمت الى اعلان البراءة من استنكار مشروع روجرز ، واعلان الولاء للسياسة المصرية . وكان هذا يستثير القواعد المستفزة بسبب احداث الاردن المأساوية النتائج .

وقد اخذت هذه الاتجاهات تزداد تبلورا ، فمن جهة تبلور الاتجاه الواعي الى التكيف والمرحلية والواقعية. وبرز في اطروحات الجبهة الديمقراطية قبل حرب تشرين ، وبالاطروحات التي طرحتها اوساط اوسع بعد حرب تشرين . وبدا ان منظمة التحرير تتجه لان تصبح دولة عربية جديدة ، وان المطلوب ان تأخذ موقف دول المواجهة خاصة من الصراع العربي ـ الصهيوني . وزاد هذا الاتجاه تبلورا ، بعد حرب تشرين، داخل الثورة الفلسطينية وفي السياسة العربية . فالثورة الفلسطينية يجب ان تصبح جزءا من الواقع الرسمي العربي . ولذلك ضربت في الاردن ، واخضعت في لبنان لاتفاقيات الهدنة اللبنانية ـ الصهيونية ، وجرّت ، من حيث تدري او لا تدري ، الى موقف الدول العربية المطالبة بتنفيذ القرار ٢٤٢، اي الجلاء عن الاراضي المحتلة سنة ١٩٦٧ . الا انها كانت مضطرة لاعلان موقف ضد هذا القرار ، لانه لا يعترف بطرف فلسطيني. وبدا وكأن القضية اصبحت من هو الطرف المعني بتنفيذ هذا القرار، الحكومة الاردنية او المقاومة الفلسطينية .

ومن جهة ثانية كانت هنالك المواقف المعارضة لهذا الاتجاه، وهي مواقف مختلفة تجمّع قسم من دعاتها ومتبنيها فيما سمي، بعد حرب تشرين ، جبهة الرفض الفلسطينية . وظل قسم منه غير موحد في جبهة ، ولكنه موجود وكبير .

وزاد هذا كله من خطر تصدع الثورة الفلسطينية ، فوجود جبهة البرنامج المرحلي من جهة ، وجبهة القوى الرافضة ، يهدد الساحة الفلسطينية بانشقاق خطير ، كما ان وجود قواعد واسعة، غير مقتنعة بالخط الرسمي للمنظمة ، وغير متمسكة بها ، بالاضافة الى وجود نزعات يسارية طفولية ، ووجود اصابع تتحرك داخل الساحة الفلسطينية لخدمة اهداف هذه الدولة او تلك ، سيؤدي حتما الى التبعثر والتشرذم ، وخاصة عندما توجه للثورة ضربات موجعة .

والثورة الفلسطينية في الوقت عينه ، وعلى الرغم من

الخبرات التي اكتسبتها قواعدها خلال السنوات الماضية، والالتفاف الجماهيري الذي تستقطبه فلسطينيا وعربيا ودوليا ، فانها ما زالت من حيث تركيب تنظيمها وقواها وعلاقاتها الجبهوية ومع الجماهير غير قادرة على اجراء تطوير جدي ، يزيد فعاليتها في هذه المجالات جميعها . وهذا العجز يحد من فعاليتها ، ويبذر جزءا اساسيا من طاقاتها ، ويقود الى ملابسات ومآزق خطرة .

هذا اولا ، ثم ان خروج المقاومة من الاردن ، والحاجز الذي اقامه النظام الاردني بين المقاومة وشعبها في الارض المحتلة ، اخرج جبهة الاردن مؤقتا من المعركة . وقد ادى هذا الوضع الى تعذر استخدام الجبهة الاردنية في التسلل الى الارض المحتلة . كما ادى الى تفرغ العدو لتصفية قواعد المقاومة في الداخل ، ولا سيما في غزة .

ان الثورة الفلسطينية تواجه اليوم :

أ ـ مشكلة الاختلاف على البرنامج السياسي .

ب ـ مشكلة العجز عن توحيد قواها وتطويرها .

جـ ـ مشكلة التكيف مع الواقع العربي الرسمي ، ودول المواجهة خاصة . ولقد قاد ذلك وبعد موافقة قيادة منظمة التحرير على القرار ٤٢٥ ، ووجود القوات الدولية في جنوب لبنان ، الى الصدامات التي حصلت داخل قواعد فتح ، وبين فتح ومنظمات الرفض في الجنوب والشمال (البص ـ صيدا ـ البداوي) .

الثاني : على الصعيد العربي : يتفاقم الصراع العربي مع الاحتلال الصهيوني . ويبدو هذا واضحا من خلال تطور وعي الجماهير العربية، وزيادة نقمتها على وجود الاحتلال زيادة ملموسة، وزيادة حماستها للحرب والقتال . ولكن هذا « التفاقم » لا ينعكس في السياسات الرسمية العربية . ولهذا نجد السياسة الرسمية العربية في مجملها لا تعكس ارادة الجماهير العربية بضرورة الاستعداد للقتال وضرورة ممارسته . ولقد كانت هذه هي المشكلة منذ كانت الدولة الصهيونية فكرة. ذلك ان الدول العربية وقياداتها

الرسمية ، كانت دائما تلجأ الى طمأنة الجماهير وتخديرها وتضليلها . وبدلا من ان تستعد هذه الدول كانت تغرق الجماهير بالتصريحات . وبدلا من ان تركز على الدور الذي تلعبه الامبريالية في حماية المشروع الصهيوني ، كانت هذه القيادات الرسمية تلجأ الى الدول الامبريالية لحل المشكلة . لقد ناشدت الحكومات العربية خلال الثورة الفلسطينية ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ الشعب الفلسطيني ان يوقف نضاله « ويخلد الى السكينة » اعتمادا على حسن نوايا الصديقة بريطانيا، وفعلت الشيء عينه، بعد الحرب العالمية الثانية، وفلسطين مشرفة على الهلاك . وما اشبه اليوم بالبارحة . ولكن ما يجري اليوم اخطر مما جرى بالامس ، وابعد اثرا في مستقبلنا.

ولهذا فان الدول العربية التي لا تعد قواها للمواجهة الاعداد المطلوب ، والتي لا تعد جماهيريا للمعركة الحاسمة ، ترجح كفة الحلول السياسية ، وحتى عندما تخوض الحرب المحدودة ، فانها تفعل ذلك لتوفير المناخ المناسب لحل سياسي ، والحلول السياسية يمكن ان تحقق تراجعات جزئية ، ولكنها تتضمن تراجعات سياسية اساسية . وتتضمن في الوقت عينه اضعاف الاتجاه نحو القتال، او حتى ضربه وخاصة عند عقد الاتفاقات .

ولما كانت الثورة الفلسطينية ليست طرفا في الاتفاقات ، وليس من مصلحتها ، او مصلحة احد فيها ، ان توقف عملياتها ، قبل الحصول على جزء من الارض الفلسطينية على الاقل ، فانها تصبح امام خيارين ، فاما ان تقبل بما يجري ، وتوقف عملياتها، او تواجه مؤامرة تصفيتها لانها اصرت على الاستمرار وهذا هو الوضع الذي تعيشه اليوم .

هل تقبل الثورة الفلسطينية بما يجري ؟ هل تصمت مؤقتا؟ هل تسعى للمشاركة في الاتفاقات الجزئية العربية ؟ هل تواصل القتال ؟

ان ما يجري متعلق باعادة اجزاء اراض عربية محتلة حتى الان ، وعلى الرغم من اهمية عودة اجزاء من اراض عربية ، فان

عودة هذه الاراضي مرهـون بتنازلات تقـدم للعـدو الصهيونـي ، وتنازلات للولايات المتحدة الاميركية ، كما ان هذه التراجعات تتـم باشراف الولايات المتحدة الاميركية . وهذا يمس امكانيات استمرار القتال ، كما يمس السيادة الوطنية العربية . كما ان عقد مثـل هذه الاتفاقات ، وخاصة اذا شمل سورية، سيعني وقف العمليات، ويشمل ذلك الثورة الفلسطينية . وستستغل اية سلطة قائمة فـي لبنان هذا الوضع ، لتحاول « اخماد » الثورة .

وعليه فان « الصمت » مؤقتا ، يخدم خط الاتفاق مع العدو، خط الهدنة . والهدنة ليست من مصلحة الثورة الفلسطينيـة ، لان الهدنة ستقود الى التراخي والتفكك واعطاء العدو الفرصة لتعزيز وضعه والاستعداد لجولات اخـرى . ثم لان الثـورة الفلسطينيـة ستكون معرضة للتصفية خلال الهدنة . اذ ما الحاجة الى «ثورة» لا تقاتل ؟ وما الحاجة الى الاف المقاتلين ومئـات المكاتـب وعشرات الاجهزة لثورة لا تقاتل ؟... ثم ان الجو مناسب لمواصلـة القتال، والجماهير مستعدة ومتحمسـة ، والوضـع الدولـي مناسـب ، وامكانيات الدول العربية من الناحيتين السياسيـة والعسكريـة تزداد كل يوم وفرة . ولذلك فالصمت يساعد على تنفيذ الاتفاقات وعلى اغراق المنطقة العربية في جو من اليأس والتمزق والخضوع.

اما السعي للمشاركة في الاتفاقات الجزئية والثنائية فيعني:

ا ـ الموافقة على الخط السياسي للاتفاقات .

ب ـ الموافقة على توكيل الاردن بتمثيـل الفلسطينييـن ، او الانتظار حتى تصل الاتفاقات الى الارض الفلسطينية . وهو ما لـن يحصل ، لان فلسطين خارج قرار ٢٤٢ هي «اسرائيل» دوليا ، ولان الضفة الغربية هي جزء من الاردن ، وغزة مرتبطة بمصر . وهـذا يعني البحث عن حل ضمن الاردن .

جـ ـ الموافقة على الاعتراف بدولة الاحتلال ، ولو ضمنيـا. والسعي لكسب مودة الولايات المتحدة الاميركية ورضاها ...

ولهذا فالسعي الى المشاركة في الاتفاقات ، تعني الموافقة على تصفية الثورة .

ولهذا فالحل ليس استمرار القتال ، وهذا يتناقض مع خط السياسة العربية الرسمية ، الباحثة عن تسويات سياسية ، والمراهنة على فرض تطبيق قرار ٢٤٢ من خلال الولايات المتحدة الاميركية ، وليس حتى من خلال الامم المتحدة .

الثالث ، على الصعيد العالمي : يتدهور وضع الامبريالية الاميركية على الصعيد العالمي نتيجة ازماتها الداخلية وازماتها مع حلفائها ، ونتيجة هزائمها في العالم الثالث وتقلص نفوذها ، المباشر وغير المباشر . وتحاول الولايات المتحدة الاميركية ان تحل ازماتها الداخلية وازماتها مع الدول الامبريالية في العالم الرأسمالي ، وازمات علاقاتها مع دول العالم الثالث عامة ، والدول العربية خاصة ، ويعود اهتمامها بالبلاد العربية الى اسباب ثلاثة :

أ ــ الموقع الاستراتيجي .

ب ــ الثروات الاقتصادية ولا سيما النفط .

جـ ــ اثر اشتعال المنطقة العربية في وضع الامبريالية الاميركية ووضع عملائها ومواقعها فيها .

ولذلك تسعى الولايات المتحدة الاميركية اليوم الى تثبيت مواقعها في المنطقة ، وتوسيع دائرة نفوذها والسيطرة على عوامل التفجر فيها وتعلم الولايات المتحدة الاميركية ان الصراع العربي ــ الصهيوني من الاسباب الرئيسية للتفجر ، وان السيطرة على هذا الصراع تقود الى السيطرة على سياسة المنطقة .

ومن هنا تتجه الولايات المتحدة الاميركية اليوم الى اخضاع الصراع لمقتضيات سياستها . وهي تسعى ، من جهة ، الى دفع مصر ودولة الاحتلال الصهيوني باتجاه التسوية من خلال الاتفاقات الجزئية الثنائية . وهي من جهة اخرى تدفع باتجاه استقطاب المنطقة لسياستها ، من خلال بروز دور عملائها ، وفتح الابواب لخبرائها وشركاتها ورساميلها ، ومن خلال ضرب حركات التحرر

الوطني ، وانهاء سياسة التوجه نحو الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية .

وتعلم الولايات المتحدة الاميركية ان الوجود الصهيوني في فلسطين كان نتيجة السيطرة الاستعمارية بعد الحرب العالمية الاولى، وان الوجود الاستعماري ـ الامبريالي يتقلص في العالم ، ولذلك فان هذا الوجود اصبح معرضا للزوال . وعليه فان طريق المحافظة على هذا الوجود ، ليست طريق الصدام مع القوى العربية الهائلة النامية في مجتمع دولي يتقلص فيه نفوذ الامبريالية ، بل طريق تعزيز الوجود الصهيوني بمقومات البقاء ، وتوفير المناخ العربي الملائم لبقائه . ومن ابرز سمات هذا المناخ ايجاد اتجاهات «واقعية» تعتبر وجود الاحتلال الصهيوني امرا واقعا ، ضمن حدود يتفق عليها . وتعمل من اجل الصلح والاعتراف ، ولكنها تقبل مرحليا بخطوات تدريجية في هذا المجال . وتعتبر ان الخطوات التدريجية هي المطلوبة، لانها ملائمة لدولة الاحتلال الصهيوني وللولايات المتحدة الاميركية ، ولانه من غير الممكن اخراج العرب والمستوطنين الصهيونيين من الحرب الى السلام ، الا من خلال عملية طويلة لاستئصال متراكمات العداء .

وترى الولايات المتحدة الاميركية في سياسة الخطوة ـ خطوة خير سياسة في هذا المجال . وعلى الرغم من التطورات التي حدثت بعد انتخاب كارتر ، الا ان الامر لا يتعدى الخطوة خطوة . . .

ولكن الولايات المتحدة الاميركية ليست كل شيء على الصعيد العالمي . فهناك الاتحاد السوفياتي وهناك الصين وفرنسا واليابان وبريطانيا ، وهناك دول عدم الانحياز والقوى الثورية والديمقراطية في العالم الثالث . وهناك الصراع بين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي ، والصراع داخل المعسكر الامبريالي ، والصراع بين الدول الاشتراكية ، والصراع بين القوى الثورية والديمقراطية في العالم الثالث والامبريالية الاميركية ، والصراع من اجل التنمية والاستقلال والتقدم ضد التخلف

والتبعية والاستغلال . وهذا الصراع يفقد الامبريالية مواقع كل يوم ، ويتيح لحركات الشعوب امكانيات اكبر للتقدم .

واستطاع الشعب الفلسطيني ، ضمن هذا الوضع ، ان يكسب تأييدا واسعا ، وان يفتح لنفسه آفاقا جديدة . وهذا الجو الذي يشجع على المضي قدما في النضال ، يدفع باتجاه تسوية واقعية للمشكلة ، ضمن اطار الامم المتحدة ، وضمن اطار الاعتراف المتبادل بكل دول المنطقة ، بما فيها دولة الاحتلال الصهيوني ، وضمان سلامتها ووحدة اراضيها .

كيف نستطيع ضمن هذا الواقع ان نوحد الموقف الفلسطيني وان نهزم الاتجاهات « الواقعية » فيه ، وكيف نستطيع على الصعيد العربي ان نحفظ للثورة الفلسطينية استقلالها ، وان نمنع خضوعها لمخططات الانظمة ؟ وكيف نستطيع على الصعيد الدولي ان نستفيد من ظروف تدهور الامبريالية الاميركية خاصة والرأسمالية العالمية عامة ، وظروف تقدم حركة استقلال الامم وتحررها ؟

هذا ما يجب ان نفكر به جيدا ، وان كان الوضع الفلسطيني قد تدهور تدهورا كبيرا ، بعد قمتي الرياض والقاهرة ، حتى باتت السياسة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، جزءا من السياسة الرسمية العربية ، والسعودية ـ المصرية خاصة .

ولقد جاء ذلك ، ضمن اطار تدهور السياسة العربية الذي قاد الى زيارة السادات للقدس وبدء الحوار المصري ـ الصهيوني باشراف الولايات المتحدة الاميركية .

ـ ٤ ـ

ان هنالك قضايا عدة ، جاءت في هذا الكتاب ، وهي بحاجة الى بحث ومناقشة . من هذه القضايا ما يتعلق بالمصطلحات

والمفاهيم ، ومنها ما يتعلق بالتحليل والمواقف . وسأورد هنا بعضها منها :

أ ـ حرب الغوار او حرب الشعب . استخدمت في هذا الكتاب مصطلح حرب الغوار . وكانت ترجمة للكلمة الانجليزية (guerilla war) . وكنت قد اخذت هذا المصطلح بلا تدقيق عن مترجمين استخدموه ، وخاصة في دمشق . وكلمة حرب الغوار في الواقع لا تؤدي الغرض المطلوب ، لانها تعطي دلالة حرب العصابات . وحرب العصابات جزء من حرب الشعب ، وليست حرب الشعب كلها . انها مرحلة منها . وهي من ناحية ثانية ترد على الجانب العسكري المتعلق بعمل العصابات . ان حرب الشعب اشمل ، وهي تتناول كل نشاطات القوى الثورية الشعبية، المنظمة والمسلحة لمقاومة الغزو الخارجي والقهر الداخلي . ولما كان هذا هو المفهوم الذي اقصده ، فقد آثرت استخدام مصطلح حرب الشعب ، الذي استخدمه ، منذ مدة ، وبعد صدور هذا الكتاب تحديدا .

ب ـ الثورة الوطنية الديمقراطية : استخدمت في هذا الكتاب مصطلح الثورة الوطنية الديمقراطية . واوثر اليوم استخدام الثورة القومية الديمقراطية الشعبية ، لانه مصطلح اصح ، وهو يعبر عن طبيعة الثورة والقوى المشاركة فيها . ومع ذلك لم اجد اي تبديل في هذا المجال، لان مضمون الثورة الوطنية الديمقراطية الذي ذكرته في النص الاصلي ، هو مضمون الثورة القومية الديمقراطية الشعبية وان كان يحتاج الى شيء من الايضاح احيانا .

جـ ـ الوجود العربي للثورة : كنت ارى ان الثورة الفلسطينية تؤكد وجودها العربي ، من خلال قواعد الارتكاز والتفاعل مع الجماهير . وكنت ارى انها تسير في خطها السليم: « خط التحول الى ثورة عربية شاملة ، مهما كانت العثرات والعقبات » **(ص ٥٣ في الطبعة الاولى)** . وكنت ارى ايضا ان

الثورة الفلسطينية تتخطى الحواجز بينها وبين الجماهير العربية « ... واحدا فواحدا ، ويوما فيوما ، وما اظن الوقت الذي تعلن فيه برنامجها القومي بعيدا » (ص٥٥) ولكن الامور سارت في الاتجاه المعاكس . ذلك ان القيادة السياسية الفلسطينية التي برزت ، تحولت الى قيادة دولة فلسطينية واخذت تفكر بالكيان ... ولم ينتصر اتجاه الحركة الشعبية ، الذي كان قويا، والذي كنت ادفع باتجاهه بل انتصر اتجاه « المتمولين وصغار التجار والحرفيين الذين يريدون ان يستفيدوا من الثورة الفلسطينية في منافسة امثالهم وانداهم في البلاد العربية ». ان المتمولين الذين يتحدثون عن الكيان ، والذين اشرنا اليهم في حينه ، والذين كانوا « يحاولون جعل منظمة التحرير دولة في المنفى ... ويريدون ان يروا للفلسطيني دولة ، ويريدون ان يروا انفسهم سادة في دوائر » (ص ٥٢) نجحوا في ظل التراجع العربي ، ومن ثم الفلسطيني في تكريس هذه المفاهيم ، وجعلها برنامج منظمة التحرير الفلسطينية . ما معنى ذلك ؟

معناه ان البرنامج اليميني، الذي يعبر عن مصالح البرجوازية الفلسطينية والتجار والموظفيين المرتبطين بالانظمة العربية هو الذي انتصر مرحليا على حساب برنامج الجماهير الشعبية... وانتصاره يعني حتما تصفية الثورة وضرب حركة الجماهير .

د ــ رؤوف نظمي وعصمت سيف الدولة : اقمت مقارنة بين رؤوف نظمي وعصمت سيف الدولة الاول ماركسي جاء وانضم الى صفوف الثورة ، والثاني اتهم الثورة بالاقليمية ، وطالب بتكوين كتائب عربية ، تعطي الثورة قوميتها . اعتبرت موقف الاول صحيحا ، والثاني سلبيا . ولقد اثبتت الاحداث ، ان رؤوف نظمي ، الماركسي ، الممارس، جاء لخدمة قوى اليمين الفلسطيني، اعطى الاولوية المطلقة للممارسة على النظرية ، ووضع القوانين النظرية الثورية في خدمته . اما عصمت سيف الدولة فقد ظل يدافع عن افكاره ، عن الثورة العربية والوحدة والديمقراطية ، ولم

ينظر للسادات او للنظام السعودي ...

ان هذه التجربة تعلمنا ان الممارسة وحدها لا تكفي ، وان الممارسة الفردية ، التي لا يحكمها منهج ولا برنامج ، لا تؤدي الى شيء . وان « الافاقين الثوريين » يلعبون ادوارا تجريبية . اما بالنسبة لفكرة عصمت سيف الدولة ، فقد كنت انا من مؤيديها ، وطرحتها في مجلة « الثورة الفلسطينية » اوائل سنة ١٩٦٩، كما طرحت بديلا لها في كتابي هذا ... قلت : ان المشاركة العربية الفعالة والمنظمة هي التي تحول الثورة الفلسطينية الى ثورة عربية، وذكرت العوامل التي تحكم بذلك (ص ٤٩ ـ ٥٠) .

لقد قسوت على عصمت آنذاك ، لانني اردت ان يكون المناضلون ايجابيين، وان ينغمسوا في المعركة ، ولذلك ابرزت دور رؤوف نظمي ولقد سقط رؤوف نظمي فيما بعد . ولكن الفكرة التي اردت اعطاءها آنذاك ما زالت قائمة، وهي عندما تتحرك الجماهير ، هل ننغمس في نضالها ، او نجلس منظرين لثورة مثالية ؟ هذه هي القضية . انا مع الانغماس في الثورة ، والتفكير داخلها . وقد يدخلها افاقون وسقط وحتى جواسيس ، لن يلبثوا ان ينكشفوا ...

هـ ـ البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة : من الواضح انني لم اكن دقيقا عندما تحدثت عن علاقة البرجوازية الصغيرة بالبروليتاريا . كنت اتحدث عن امكانيات نمو حزب البروليتاريا في ظل البرجوازية الصغيرة ، وقلت : « فاذا كانت القيادة بيد البرجوازية الصغيرة كانت امكانيات النمو والتقدم اكبر ، لان البرجوازية الصغيرة في البلدان المتخلفة ليست على تناقض حاسم مع البروليتاريا والكادحين، في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ولان تكوين البرجوازية الصغيرة في بلادنا يجعل من مصلحة اغلبيتها ان تصف مع البروليتاريا والكادحين . وهذا لا ينفي امكانيات الصدام بين البروليتاريا وبعض شرائح البرجوازية الصغيرة ، اذ ان مثل هذا الصدامات ممكنة ومحتملة الوقوع،

ولكن مثل هذه الصدامات اقل احتمالا ، واخف حدة من الصدام بين البروليتاريا والطبقات الاخرى » (ص ٧٦) ان هذه الفقرة بحاجة لمراجعة شاملة :

١ ـ ان البرجوازية الصغيرة ، او اية شريحة منها ، لا تكون على تناقض مع البروليتاريا ، في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، عندما لا تكون في السلطة . ولكنها ـ او اية شريحة منها ـ ما ان تتسلم السلطة حتى تصبح على تناقض مع البروليتاريا. ويزداد هذا التناقض عندما تتسلم السلطة الشرائح الرجعية من البرجوازية الصغيرة ـ وهذه القوى الرجعية تلغي حتى الحريات البرجوازية الشكلية المتخلفة من العهد السابق . . .

٢ ـ ان الشرائح التي تتحالف مع البروليتاريا من البرجوازية الصغيرة ، هي الشرائح الثورية والديمقراطية ، المعادية للاقطاع والكمبرادور والامبريالية والعدو الصهيوني ، وهذه الشرائح هي ليست كل البرجوازية الصغيرة ، وتنمو او تضعف ، حسب الظروف السياسية والاقتصادية والتنظيمية .

٣ ـ ان تجربة الوطن العربي ، ومنذ ١٩٧٠ خاصة ، اثبتت ان القوى الحاكمة من البرجوازية الصغيرة ، سرعان ما توطد علاقاتها مع الامبريالية ، وتعيد التحالف مع بقايا الاقطاع والبرجوازية ، وتنمي اجهزة القمع الداخلي . .

٤ ـ وتثبت تجربة الوطن العربي ان شرائح البرجوازية الصغيرة التي حكمت ، عجزت حتى عن انجاز الشعارات الاساسية التي رفعتها . .

وهذا من وجهة نظرنا لا ينهي دور البرجوازية الصغيرة ، او بالتحديد الشرائح الثورية والديمقراطية منها ، ولكنه يعني ضرورة تحديد طبيعة القوى التي نتعامل معها من البرجوازية الصغيرة ، ومراقبة علاقاتها وتذبذباتها ، وتنمية دور الطبقة العاملة والجماهير الكادحة ، لتلعب الدور الرئيسي في

— ٥ —

ان التدهور الذي حصل على الصعيد العربي عامة، والفلسطيني خاصة ، يجعل ما طرح في هذا الكتاب جزءا من صراع ، يميل نحو الحسم النهائي لمصلحة القوى الرجعية . .

ولقد كنت ارى بوادر هذا الصراع واحتمالاته عند كتابة الكتاب، ولذلك كتبت الكتاب ، وطرحت فيه القضايا المتعلقة بتنمية قـــوى الثورة مثل قضية الحزب والجبهة والعلاقات مع الجماهير العربية. كنت احاول استباق الزمن ، والعمل لتجنيب الثورة مزالـــق الانحراف نحو اليمين ، او التصفية . ولذلـــك هاجمت اليسار الطفولي ، وحاولت ان ارسم خط سير لتحوّل الثورة ، لتكون اكثر ثوريـة وجذريـة . . .

الا ان الامور تسارعت بعد كتابة الكتاب . بدأ الهجوم الرجعي في الاردن ، وما ان انتهت معركة ايلول ، حتى برزت طبيعة القيادة اليمينية للعمل الفلسطيني . وفي هذا الوقت كانت تحولات كبرى تجري في الوطن العربي لمصلحة اليمين . وكان هذا التحول يضرب حركة الجماهير الشعبية ، وينتج انظمـة حكم رجعية وفاشيـــة معادية للشعب ، تنمي ارتباطاتهـا بالامبريالية الاميركية . ولقـد ساعـد هذا اليمين الفلسطيني على زيادة قوته ، وحاصر حركـة الجماهير الشعبية الفلسطينية وقواهـا الثورية . واذا كانـــت القيـادة الفلسطينية قد خضعت للمخطط العربي الرسمي ، فـان حركة الجماهير الشعبية الفلسطينية خضعت للتراجع الكبير الذي عانته الجماهير العربية وقواها الثورية . .

ولذلك فان مسار الثورة ، وحركة تحرير فلسطين سيأخذ من الان فصاعدا طريقا جديدا . انـه طريق الصراع مع الامبرياليـة

عامة ، والامبريالية الاميركية خاصة ، والقوى الرجعية العربية المتحالفة او المرتبطة معها ..

وهذا المسار ستحدده حركة الجماهير الشعبية العربية، بقيادة قواها الاكثر ثورية وطليعية وجذرية ، من خلال ثورتها القومية الديمقراطية الشعبية .

ولقد اثبتت تجربة الثورة الفلسطينية الحقائق التالية :

١ ــ ان اية قيادة وطنية ، برجوازية او برجوازية صغيرة ،لا تسمح بنمو الحركة الشعبية ، ونمو حركة الجماهير ، الا بما يخدم سلطتها وسيادتها . وانها ، وهي تخوض الصراع ، ضد العدو الرئيسي، تولي اهتماما خاصا لحركة جماهيرها، يتيح لها السيطرة الكاملة . ولذلك فانها تربي قيادات وكوادر تابعة ، وتنمي اجهزة قمعية ، وتستقطب الانتهازيين واللصوص والمرتزقة وغيرالواعين، وتضرب اي تحرك مضاد بطرق مختلفة .

٢ ــ ان مثل هذه القيادات ، يفكر دائما بالمساومة ،ويبني تنظيمه واجهزته على هذا الاساس . ومن هنا فانه لا يطور القوى المنظمة والمسلحة التطوير المطلوب لحرب شعبية حقيقية. ولذلك فان كل العمل السياسي والعسكري يستهدف تكريس مثل هذه القيادات طرفا في مفاوضات ، لا اكثر ولا اقل .

٣ ــ ان مثل هذه القيادات ، ما ان يلمس امكانية لحصول تسوية ، حتى يهرع مبديا استعداده ، وحتى يخضع كل عمله السياسي لهذا الاحتمال .. وشيئا فشيئا يتحول مثل هذهالقيادات الى قيادات الثورة المضادة ..

٤ ــ ان مثل هذه القيادات التي تحصل على الاسلحة والاموال باسم الحركة الشعبية ، تستخدم هذه الاسلحة والاموال لقمع جماهيرها ، ولممارسة اخضاعها ..

ولذلك كله ، فان تجربة الثورة الفلسطينية ، يجب ان تحظى بالاهتمام الكافي ، في استخلاص الدروس والعبر ، من الذين سيواصلون الكفاح ، حتى يعرفوا كيف يخوضون الصراعات المقبلة،

وكيف يبنون حركتهم الثوريـة .

ويزيد من اهمية تجربة الثورة الفلسطينية انها اكدت تجارب الثورات الاخرى ، العربيـة وغير العربية ، فيمـا يتعلق بالقيادات البرجوازيـة والبرجوازية الصغيرة ..

- ٦ -

ان الوضع الفلسطيني سيمر بهزات جديدة ، نتيجة ترتيب الوضع في لبنان ، والمنطقـة . وستتحول القيادة الرسمية لمنظمة التحريـر الفلسطينية الـى قـوة تسوية وتصفية . وعلى الجماهير الفلسطينية ان تفكر جديـا من الان فصاعدا بطريقة تكفل استمرار ثورتهـا . وليس هنالـك امكانيـة لشيء من ذلـك خارج اطـار الثورة العربيـة .

بيروت في ١٣/٨/١٩٧٨

ناجي علوش

حرب الشعب
في المرحلة الراهنة

اهمية حـرب الشعب
في المرحلة الراهنة

لقد ازدادت اهمية حرب الشعب (١) في المرحلة الراهنـــة وستزداد في المراحل المقبلة . ويعـود ذلـك الى اسباب عـــدة اهمهـــا :

اولا : ان تبلور الخبرات التاريخية في هذا الميدان ، جعل من حرب الشعب طريقة ناجعة لمجابهة قوى الظلم والاضطهاد ، بنوعيها

---

(١) استخدمنا في الطبعة الاولى كلمة « الغوار » . ولقـــد اقتنعنـا بعـد استخدامها بضرورة استخدام كلمة « الشعب » ،وذلك لان حـــرب الشعب اشمل ، واكثر تعبيـرا عـن المقصود . كان المقصود بحـرب الغـوار حـــرب العصابات ، وعلى الطريقة الفيفارية تحديدا . وهذا مفهوم «تقني» ومحدود لحرب الشعب ، ومن هنـا اقتضى استخدام حرب الشعب في كل الكتاب.

الوطنـي والطبقـي .

ثانيا : ان الماركسية اللينينية قدمت المنظومة الفكرية اللازمة لجعل هذه الطريقة اكثر كفاية وفعالية . ولقد قدّم الشيوعيون في الاتحاد السوفياتي والصين وفيتنـام خاصـة تطبيقات اغنـت الماركسية ، واغنت هذه الطريقة الفعالة الناجعة .

ثالثا : ان تطور القوى العسكريـة للامبرياليـة العالميـة ، ولعملائها في الخارج ، جعل امكانيـة التحرك بالنسبة للقـوى السياسية الديمقراطية محاصرة . ذلك ان هذه القوى عاملة على اغلاق كل منافذ التغيير . وهي بالاضافة الى ذلك تزداد شراسـة وقسوة كل يوم . ولا تملـك الشعوب المضطَهدة المستعمَرة مـن القوى ما يردع . ولذلك فان هذه الشعوب امـام خيار حاسم ، فاما ان تقاتل او ان تستسلم وتسحق .

ولعل اخطر ما في الامر ان الرجعيات المحلية ، التـي تشكل « هامشا » في النظام الامبريالي العالمي ، قد اصبحت جزءا مـن نظامه الدفاعي والاقتصادي ، فهي بالتالي تقوم بدور اساسي فـي حمايـة مراكزه ومواقعه .

ولقد لجأت الامبريالية الى اعداد هذه القوى لمقاومة مـد التحرر والثورة ، فسلّحها تسليحا جيدا ، ودرّبت مرتزقتها على طرق افساد الجماهير ، وتدمير معنوياتها ، وقمع حركات تذمرهـا واحتجاجاتها . وكانت الامبريالية تظـن ان هذا كاف لاخضـاع الشعوب ، وانهـا ستؤمن باستخـدام هـذه الاساليب « امناً واستقرارا » .

ولكن الشعوب رفضت هذا « الامن » وهذا « الاستقـرار » ، القائميـن على الذل والعبوديـة والاستغلال ، فأخذت تثور الواحد تلو الآخر . وما لبثت انظمـة الحكم الرجعية العميلة ان اخـذت تهتـز تحت ضربات الشعوب القويـة . فمـا كان من الامبرياليـة ممثلـة بأحدى دولهـا او باكثر من دولة ، الا ان بادرت الى التدخل العلني السافر . وكان هذا التدخل يزداد شدة واتساعا بمقدار تطور

الثـورة واتساعهـا .

وهكذا باتت كل محاولة للتقدم او التحرر مهددة بقوى عاتيـة من الداخل ومن الخارج. وبات لجوء الشعوب الى العمل المسلح امرا محتما لا خيار فيه . « فالكف لا تقاوم المخرز » كمـا يقـول المثـل والسلاح لا يقاوم الا بالسلاح .

ولكن لما كانت الشعوب المضطهدة المستعمَرة لا تملـك مـن القوى العسكرية ، بشريا وتقنيا ، مـا يملكه اعداؤهـا ، فقد كـان عليهـا ان تختار الطريقـة الناجعة : طريقـة حرب الشعب . فهذه طريقة مجربة ، اجتمع للانسان منهـا تراث عظيم وخبرات وافرة. وهي طريقـة يستطيع اي شعب مهما كان متخلفـا ان يستخدمها، وان يستخرج منهـا قوى جبارة . فمادتهـا الاساسية متوافـرة في ارض الوطـن . وامكانيات تطورهـا موجـــودة فـــي ارض المعركة .

وهذا ما كـان . . .

وهذا ما جعل التاريخ الحديث سجلا لحروب العصيان والثورة والمقاومـــة .

ولقد كانت أهم الحروب التي حدثت في التاريـخ الحديث ، والتي سببت انعطافات حاسمة حروبا من هذا النوع . وما حروب السنوات الاولـى للثورة الفرنسية ، وحرب المقاومة فـي الاتحـاد السوفياتي (١٩١٧ ـ ١٩٢٢) ، والحرب الثوريـة فـي الصيـن (١٩٢٧ ـ ١٩٤٩)، وحرب التحرير الفيتنامية (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)، و (١٩٥٩ ـ ١٩٧٠) (١) ، الا الامثلة البارزة .

واذا كانت هذه الحروب امثلة رائعـة على فعاليـة كفـاح الشعوب ، وعلى كفايـة طريقة الحرب الشعبية الثورية ، فانهـا ايضا نماذج مروعة للحروب الرجعية الاستعمارية . ولقد حدث في كل هذه الحروب ان انتفض الشعب على رجعيته وهزمها او كاد ،

---

(١) استمرت الحرب حتى سنة ١٩٧٥ ، فادت الى الانتصار العظيم .

فهبت قوى الاستعمار والامبريالية لنجدتها . هذا ما حدث لفرنسا بعد ثورة سنة ١٧٨٩ ، ولثورة اكتوبر سنة ١٩١٧، ولثورة الصين ولثورة فيتنام . وكان ان انتصر الشعب على اعدائه : الرجعية الداخلية والاستعمار الخارجي .

ولعل وعي الشعوب هذه الحقيقة ، واستخدامها هذه الطريقة ، هو الذي جعل حرب الشعب تزداد اهمية في المرحلة الحاضرة .

وتؤكد التجربة الفيتنامية كل يوم ، ما سبق ان اكدته تجربة كوبا وتجربة الجزائر ، والتجارب الاخرى ، من ان شراسة الرجعية وحداثة التقنية الحربية الامبريالية ، عاجزتان امام تصميم الشعب على التحرر . وهذا ما يجعل الحرب الشعبية طريق الخلاص في الصراع بين قوى التحرر والتقدم وقوى العدوان والاضطهاد .

قضيـــة فلسطين
وحـــرب الشعب

بعد ان اندفعت قوات المقاومة في فلسطين الى ارض المعركة، تعدلت صيغة السؤال المطروح . فقد كان السؤال في الماضي : هل طريقة حرب الشعب طريقة ناجعة ؟ واصبح السؤال الان هل طريقة حرب الشعب طريقة كافية ؟

والحقيقة ان الاجابة على الصيغتين ضرورية ، وان كان مـن الضروري ان نقدم للاجابة بنبذة موجزة عـن الوضع العربي ووضع العـــدو .

فعلى الصعيد العربي هنالك عدة عوامل تحدد ابعاد المعركة . هذه العوامل هي :

اولا : وجود اراض عربية واسعـة شاسعة ، تضم جماهير وافرة ، يؤيـد اغلبهـا عفويا اي عمل سياسي او عسكري ضـد العـــدو .

ثانيا : هنالـك دول عربية ، بعضهـا يميل الى التقدم (١)،

---

(١) ان الميل للتقدم توقف على الاغلب ، منذ ذلك التاريخ ، فاصبح معظمها ما =

وبعضها راسخ في الرجعية والعمالة ، ولهذه الدول جيوش تختلف عددا وعدة ، وتختلف تكوينا وتدريبا ، ولكنها جيوش موجودة تملك الكثير من العتاد الحديث . والاهم من هذا ان عناصرها ، لا سيما الجنود وصف الضباط والضباط الصغار ونسبة عالية من القيادات ، على مختلف اتجاهاتها ،متحمسة بدرجات متفاوتة للمساهمة في معركة التحرير .

ثالثا : لم يجر في اي يوم من الايام لاسباب عديدة ، اهمها السبب السياسي ، استخدام هذه القوى ـ اتساع رقعة الارض ووفرة عدد السكان ، واستعداد السكان ـ في المعركة مع العدو .

وعلى صعيد فلسطين ، وهو ضمن الاطار السابق ،فقد كانت هنالك عدة عوامل تحدد ابعاد المعركة . هذه العوامل هي:

اولا : كان الحكم المفروض ، على ابناء فلسطين ، حكما يحرمهم من حقهم الاول في ان يعدوا انفسهم لخوض معركة التحرير .وقد عملت انظمة مختلفة على خنقهم وافسادهم وتهجيرهم . كان اي نشاط من اجل فلسطين يقاوم بعنف ،وكان امتلاك اي فلسطيني لقطعة سلاح يعني تهديدا للامن اكبر من التهديد الرابض على الحدود . ولا بدّ لنا من ان نذكر ان الحكم في الاردن قام بوظيفته في خدمة الاهداف الصهيونية خير قيام . فقد حطم كل نوع من التنظيمات السياسية ، وشرد الشباب ، واستعمل كل الاساليب لاخلاء البلاد من الاسلحة ، واستخدم كل وسيلة لتدمير المعنويات .

ثانيا : عاش ابناء فلسطين في شبه شتات . ذلك ان سكان غزة كانوا معزولين عن الضفة الغربية ، وسكان الضفة الغربية معزولين عن لاجئي سورية ولبنان ، وهؤلاء معزولين عن الخاضعين

= يمكن ان نسميه الرجعية الجديدة، وهي تحالف العناصر الحاكمة غير المنتجة من البرجوازية الصغيرة مع بقايا الاقطاع والفئات الوسيطة ، واحسن مثل مصر .

للعدو الصهيوني . ولم يكن اي نشاط سياسي ، في ظلال القمع والارهاب والحرمان من التنقل امرا سهلا .

ثالثا : كان ابناء فلسطين ينتظرون حلا يحققه جيش عربي نظامي . وكان ايمانهم بهذه الحقيقة ، وارتباطهم بها ، يشلهم عن اي نشاط ذاتي .

رابعا : عاشت جماهير فلسطين ، حيثما كانت ، كما عاشت كل عناصرها الملتزمة سياسيا ، ازمة الحركات السياسية العربية، ازمة تقلباتها واخطائها وصداماتها ، واحتقارها العمل الشعبي المسلح .

اما بالنسبة للعدو فان ابعاد المعركة تحددها العوامل التالية :

اولا : الاعتماد على السلبية والتخلف والتفتت في الوطن العربي ، بما فيه فلسطين . ان هذا عامل من العوامل التي يبني عليها العدو استراتيجيته . ولكي يضمن العدو استمرار هذا الوضع وتفاقمه ، يعمل على تغذية الصراعات السياسية والمذهبية والقطرية ، وتأجيج نار المعارك « العقائدية » . كما انه يعمل على تشجيع الانحلال واللامبالاة والاستهتار .

ثانيا : الاعتماد على النفوذ الامبريالي عامة ـ والامريكي خاصة في المنطقة .

ثالثا : بناء قوة ضاربة ، قادرة على تحقيق انتصارات سريعة حاسمة على الجيوش الهزيلة ، لابقاء الجماهير الوافرة خارج المعركة .

رابعا : اعداد كل انسان وكل شيء للمعركة .

خامسا : يبقى العدو ، رغم ذلك ، لا يتجاوز المليونين ونصف المليون عددا ، وتظل رقعة الارض التي احتلها قبل حزيران وبعده رقعة صغيرة ، **لا سيما ارض فلسطين** المحتلة .

بعد هذا ، لنحاول الاجابة على صيغة السؤال الاولى : **هل** حرب الشعب حرب ناجعة ؟

انها حرب ناجعة ولا شك ، لا لان التجارب التاريخية اثبتت

ذلك قديما وحديثا ، بل لان دخول هذه الجماهير العربية الوافرة ،مع تلك الدولة الصغيرة في معركة يحسم الامر . ولكن هذه الحرب الشعبية لا بد لها من ثلاثة شروط لكي تكون ناجعة. هذه الشروط هي :

اولا : ان تعبأ قوى الجماهير العربية تعبئة ثورية ، خلال الكفاح ، وان يستفاد من الامكانيات المادية في الوطن العربي .

ثانيا : ان يستفاد من الجيوش العربية ، اما باندماجها مع القوى الشعبية في المرحلة الاولى من حرب التحرير ، او باعتبارها جيوشا نظامية تنشأ الى جانبها قوى شعبية .

ثالثا : اعتبار ان الحرب تبدأ حرب عصابات لتنتهي بحرب شاملة ، تستخدم فيها اساليب القتال النظامي وشبه النظامي، الى جانب اساليب القتال الشعبية .

وان الاجابة على صيغة السؤال هذه تتضمن الاجابة على الصيغة الاخرى : هل طريقة حرب العصابات كافية ؟ ذلك انها كافية اذا ما كانت قادرة على ان تتطور وتتحول من حرب عصابات الى حرب شعبية شاملة .

ولكنها كافية ايضا اذا ما نظر اليها نظرة نسبية : اي من حيث الاهداف التي تحققها مرحليا . فالميزة الاساسية لحرب الشعب انها حرب متطورة متصاعدة ، وانها تحقق انتصاراتها تدريجيا . وهي عادة تبدأ من الصفر الى النواة ، وتتحول من نواة الى حركة ، ثم تتحول من حركة سياسية ، كبيرة الاهداف صغيرة العدد والعدة ، الى حركة جماهيرية وافرة العدد والعدة. وهي تبدأ من مهاجمة الاهداف المنعزلة وزرع المتفجرات وتصيد جنود العدو ، لتنتقل الى اهداف اكبر واخطر ، ثم لتتحول الى خوض معارك استراتيجية . ويكفي للحرب الشعبية ان تحقق اهدافها المرحلية حتى تكون كافية . ذلك ان تحقيق هذهالاهداف يجعلها قادرة على ان تتصاعد لتحقق النصر الكبير .

فهل يعني قولنا انها كافية ، اننا نريد الغاء دور الجيوش

النظاميـــة ؟

في الواقع لا ... ذلك ان حرب العصابات والحرب الشعبية بالتالي ، ليست صادرة عن رغبة في انهاء دور الجيوش النظامية. انها على النقيض من ذلك صادرة عن رغبة في (١) ايجاد القـــوة القادرة على مواجهة العدو حين تعجز الجيوش النظامية ،(٢) تعزيز قدرة الجيوش النظامية امـام عدو متفوق مهنيا وتقنيا . (٣) خلق قوات عسكرية « شبه نظامية » . خـلال القتال ، قادرة علـى مواجهـــة العدو وقهره .

ولذلك لا يجوز ان ينظر الى حرب الشعب نظـرة استهانـة واستخفاف ، على اعتبار اننا لسنا بحاجة لها ، ما دامت هنالـك جيوش نظامية ، كما لا يجوز النظـر اليهـا نظرة اعجاب وتقدير ، على اعتبار انهـا تمثل بطولـة وتضحيـة مع استصغار شأنها .

فهل هنالـك مميزات خاصة لقضية فلسطين ، تجعل قوانين حرب الشعب المعروفة غير ملائمة ؟

هنالك فعلا مميزات خاصة لقضية فلسطين . اهم هـــذه المميزات اثنتان : اولاهما : ان المعركة في فلسطيـن ليست بيـن شعب وحكومته ، او بيـن شعب وجيش محتل بالمعنى التقليدي كالاحتلال الانجليزي للهند مثلا ، او الاحتلال الفرنسي لفيتنام ، بل هي معركـة بيـن شعب مضطهَد وشعب مضطهِد يملـك جيشا متفوقا . ولذلك فان المعركة تبدو وكأنها بين دولة ودولـة او بيـن شعب ودولة مجاورة . واقرب مثل لما يحدث في فلسطين المعركـة التي حدثت في الجزائر بين شعب الجزائر واخلاط المعمريـــن الاجانب . وثانيهمـا : ان قسمـا كبيرا من شعب فلسطين يعيش خارج ارضه ، اما على ارض فلسطيـن ذاتهـا ، او علـــى اراض عربيـة مجاورة .

ولكن هاتين الميزتين لا تغيران شيئا من قوانين حرب الشعب، ولا تنقصان من فعاليتها . فوجود شعب مضطهِد على ارض الوطن، لا يجعل المعركة محصورة بين مقاتلي الشعب والجنود الغزاة ، بل

يجعل كل بيت وكل شبر من الارض يحتله العدو ميدان معركة . هنا تصبح الاهداف كثيرة امامنا ، ويصبح العدو ملزما بحماية عدد كبير من الاهداف ، لا بحماية معسكراته فحسب . ان اتساع رقعة الاهداف تعطي المقاتلين تفوقا استراتيجيا وتكتيكيا . ذلك ان اتساع مدى الاهداف يفرض على العدو ان يوسع شبكات دفاعه الى الحد الاقصى ، ولكنه مع ذلك يظل عاجزا عن حماية هذه الاهداف . من هنا تأتي قوة المقاتلين الشعبيين ... انهم قادرون على ان يحرموا كل فرد من جنوده ، وكل مواطن من مواطنيه من ان ينام قرير العين ، وقادرون على احداث اضرار لا تحصى في الارواح والممتلكات ، اي انهم قادرون على خلق مشكلة امن كبرى في المرحلة الاولى . ولنتصور مثلا ماذا تكون الحال لو ان الفيتناميين كانوا قادرين على نقل القتال الى الارض الاميركية ! لنتصور ماذا كان سيحدث لو ان الفيتناميين كانوا قادرين ، لا على قتل الجندي الامريكي ، وتدمير الدبابة الاميركية فحسب ، بل كانوا ايضا قادرين ، على نسف المصنع الاميركي وتدمير المزرعة الاميركية الخ ..

ان وضعا كهذا وضع ممتاز . هنا تختلط جبهة العدو ومؤخرته ، وتتحد مواقعه المدنية بمواقعه العسكرية ، ومواقعه الاقتصادية بمواقعه السياسية . ونتيجة هذا الاختلاط يصبح من السهل على المغاورين ان يهزوا النظام باجمعه .

اما الميزة الاخرى ، وهي وجود شعب مضطهَد باجمعه ، شرّد قسم كبير منه من بيوته واراضيه ، فانها تخدم الثورة ، لانها تضع العدد الاكبر من هؤلاء المشردين في خدمة الثورة ، وان كانت تحرمنا من ميزة « التواجد » في مناطق رئيسية من مؤخرة العدو . فعملية التهجير والاستئصال التي تمارسها العصابة الصهيونية تخلق شعورين ضروريين في كل ثورة هما : الشعور بالظلم والشعور بعدالة القضية . ومن هذين الشعورين المتلازمين تنبعث الثورات. ان تحطيم النظام الاجتماعي والمعيشي لشعب ،

وتدمير حياته الاقتصادية والعائلية ، يوفر التربة الخصبة للعمل الثوري . ويدفع جماهير هذا الشعب الى العمل من اجل«استقرار» جديد . وكما ان هنالك تناسبا طرديا بين الفعل وردالفعل، اي ان قوة احدهما تزيد من قوة الاخر ، فان شدة الظلم والارهاب المسلطين على شعبنا ، لا بد من ان يكون لها رد فعل كبير . وبينما كان ممكنا ان نجد فئات مستعدة للتعاون مع العدو ، او تدعو لمسالمته لو كان مجرد محتل ، نرى ان جميع ابناء شعبنا يرفعون شعار المقاومة . ان هذه ميزة لا تعادلها ميزة اخرى .

وهناك من يرى ان حرب الشعب غير ناجعة ولا كافية . لان رقعة فلسطين ضيقة ، وخالية من التضاريس المؤاتية ، ولان سكانها العرب قلة . ومشكلة القائلين بوجهة النظر هذه انهم يتجاهلون مبادىء اساسية من مبادىء حرب الشعب . وهذه المبادىء هي :

اولا : ان الانسان هو العنصر الاساسي والاول في هذا الصنف من الحروب . وان ارادته وتصميمه كفيلان بالتغلب على كل العقبات .

ثانيا : ان التنظيم هو العنصر الاساسي الثاني الذي يعطي للارادة والتصميم قدرة وفعالية .

ثالثا : ان القدرة على التفاعل مع الجماهير والاندماج بها، هو العنصر الاساسي الثالث الذي يجعل الارادة والتصميم والتنظيم عوامل خلاقة .

رابعا : ان القدرة على التكيف والاحتمال والكفاءة والجسارة وحسن التقدير والاخلاص،هي التي تجعل مما سبق ثورة .

وما المساحة وضيقها او اتساعها ، والتضاريس وسهولتها او وعورتها ، وما السكان ووفرتهم او قلتهم ، وازدحامهم او تفرقهم الا عوامل ثانوية مساعدة .

ان ماوتسي تونج كان ينظر الى الموضوع نظرة خاصة ، حين

اكد على ضرورة اتساع المساحة (١) . وقد اضطرت دار النشر التي اصدرت كتابه في الصين الى تصحيح فكرته هذه قائلة : « بعد الحرب العالمية الثانية ، اصابت الحركة الوطنية الديمقراطية والثورية نهوضا شديدا في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . لقد خاض الشعب في بلدان عديدة ، بقيادة قواه الثورية والتقدمية ، نضالا مسلحا لقلب سيطرة الاستعمار والرجعية المظلمة . ويظهر هذا ان الشروط التي تتيح لشعوب مختلف البلدان ان تخوض اليوم حرب الانصار ، لم تعد بالضبط في الظروف التاريخية الجديدة ـ حيث تتطور قوى المعسكر الاشتراكي ، والقوى الثورية لشعوب البلدان المستعمرة ، وقوى الشعوب الاخرى المناضلة لاجل الديمقراطية والتقدم ، تطورا عاصفا ، وحيث يستمر النظام الرأسمالي العالمي في الانحطاط ،ويسير نظام الامبريالية الاستعمازي نحو انهياره ـ الشروط ذاتها التي كانت ضرورية للشعب الصيني، عندما كان يخوض حرب الانصار ضد اليابان . وبتعبير اخر يمكن لحرب الانصار ان تنتصر حتى في بلد لا يملك اراضي واسعة ، مثل كوبا والجزائر ولاووس وجنوبي فيتنام » (٢) .

وما اريد ان اؤكده هنا هو ان حرب الشعب ، اذا توافرت لها ظروف معينة ، مهيأة لان تنتصر في بلدان كقبرص التي لا تزيد مساحتها عن ثلث مساحة فلسطين . وهي مهيأة لان تنتصر في اصغر واسهل تضاريس . ذلك ان حرب الشعب ـ وهذه ميزة اساسية لها ـ ليست حربا جامدة . انها حرب متكيفة . وهذا يجعلها صالحة للمدن والسهول والجبال ، للتضاريس السهلة وللتضاريس الوعرة ، للادغال والغابات وللصحارى والسهول . واذا كانت المدن غير صالحة احيانا ، فان الريف ليس اكثر صلاحية

---

(١) ماوتسي تونج ، كتابات عسكرية ، دار ابن سينا ، بيروت الطبعة الاولى ص (٢٢٤) .

(١) المرجع السابق ، ص (٢٤١) .

في احوال اخرى . والمقاتل الذي يستطيع ان يجعل من الجبل ملاذا ، يستطيع ان يجعل من المدينة او القرية ملاذا . وهو عندما يكون منعزلا في الجبال او الغابات ، اضعف منه حين يكون مندمجا مع السكان في المدن والقرى .

ولهذا فانني ارى ان المقاتلين يستطيعون ، اذا التزموا المبادىء الاساسية التي ذكرتها سابقا ، ان يجعلوا من مدينة كمدينة القدس ، او مدينة كالخليل او نابلس او جنين ميدان حرب شعبية . الا ان عليهم في مثل هذه الحالة ان يحققوا مستوى عاليا من التنظيم ، وان يتقنوا فنون التمويه ، وان يستطيعوا الاندماج مع الجماهير . ويعطي حي القصبة في مدينة الجزائر مثلا رائعا حيا لما يستطيع ان يفعله حي صغير محاصر . وان مدينة القدس العربية ، لتشبه حي القصبة من وجوه عدة ، وان كانت تتمتع بمزايا عدة ، اهمها سراديبها وانفاقها . وهي مهيأة للعب دور في حركة المقاومة اكبر من الدور الذي لعبه حي القصبة .

فلسطين اذن ليست صغيرة على حرب الشعب ، وسكانها ومهاجروها ، ليسوا محرومين من المزايا التي تقدمها حرب الشعب .

ولكن مجرد تصور ان حرب الشعب في فلسطين ستلتزم بأرض فلسطين ميدانا لها ، تصور قاصر عاجز . ففلسطين ليست وطنا قوميا ، وسكانها العرب ليسوا امة منعزلة . انهم ابناء امة وافرة العدد ، ارضها واسعة شاسعة . واذا كان الاستعمار البريطاني والفرنسي قد وضع حدودها الحالية ، فانما فعل ذلك ليجعلها هزيلة بشريا ، ومحرومة من البعد الاستراتيجي سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، فيسهل بالتالي استيلاء الصهيونية عليها . ومنذ وعد بلفور حتى الآن دأبت الصهيونية ، ومعها كل القوى الاستعمارية ، على اعتبار كل ما هو خارج حدود فلسطين التي وضعها الاستعمار البريطاني اجنبيا عنها . حتى ان الصهاينة لا يتورعون عن اعتبار كل فرد من مواليد فلسطين اجنبيا عنها ، اذا

ما تخطى الحدود لاي سبب من الاسباب . ان الذي يغادر فلسطين يعتبر اردنيا او سوريا او مصريا حـــال خروجه ، بينمـــا تصر الدعاية الصهيونية على اعتبار كل يهودي ، روسيا كان ام افريقيا، مواطنـــا فلسطينيا اصيلا .

ان مؤامرة « التغريب » هذه تستهدف امرين . اولهما: اشعار كل « فلسطيني » بأنه غريب عن ارضه ، وثانيهمـــا : ان الارض المحيطة بارضه ، والناس المحيطين بوطنه ، ليسوا من امته . ولهذا تسعى الصهيونية جهدها لاشاعة فكرة تقول بان العـرب ليســوا امة ، وانهم مجموعة من الشعوب والطوائف . ومـن هنـا تنطلق الدعاية المركزية لخلق قوميات وهمية ، او لاصطناع خلافـــات طائفيـة وعنصرية في الوطن . ان مـا يهم العدو ، والامبرياليـة العالمية من ورائه ، هو عمل كل مـا يمكـن عمله لتعميق التجزئـة في الوطن العربي ، ولزيادة التناقضات واصطناع النزاعات . لان وحدة الجماهير العربيـة هي العلاج الناجع لمشكلـة السرطـان الصهيونـي .

من هنا تأتي اهمية هذا الوطن ، ١ ـ بشريا ، ٢ ـ جغرافيا ، فمن الناحيـة البشرية ان الجماهير العربية مصدر لقوى زخّارة ، قادرة على استئصال العدوان الصهيونـي ، اذا مـا جُنّد قسم بسيط منها . وليس هنالـك من يجهل بأن هذه الجماهير شديدة الحماسة . ومن الناحية الجغرافية هنالـك الارض العربية الواسعة الشاسعـة بتضاريسهـا المختلفة ، من الجبال المشجرة الى التلال الى السهول الى الصحارى . ويشكل كل نـوع من هذه التضاريس ارضـا مؤاتيـة بالنسبة لنـا وغير مؤاتيـة بالنسبة للعـدو ، اذا ما استطعنـا استدراجه اليهـا . ولهذا فان حركة التحرير الوطنية الفلسطينيـة لا بد لهـا من ان تستفيد من امكانيات الوطن العربي استفـادة كاملـة . وهذا يتمثل في المجالات التالية :

اولا : انشاء قواعد ومقرات ، خارج حدود فلسطين تكـون مواقع تحشيد وتدريب وتموين ، ومثل هذه القواعـد لا بـد مـن

انشائها ، لانه من المستحيل الان تأمين انشاء مثل هذه المراكز في الداخل . وقد فعلت ثورة الجزائر مثل هذا ، فأقامت قواعد لها في تونس والمغرب . وهذا ما فعلته ثورات من قبل (حرب الشعب في كوريا ضد اليابان ، مثلا) .

ثانيا : انشاء شبكات الدعم والمساندة في البلاد العربية . ومهمتها حماية المقاتلين الفلسطينيين ، ثم حماية ارضهم من غارات العدو او غزواته . ولا بد من ان تتطور لتتحول الى المشاركة الفعلية في القتال .

ثالثا : اعتبار الارض العربية الشاسعة مؤخرة للجبهة ، بكل ما تعنيه كلمة مؤخرة من معان سياسية وعسكرية .

ان ما يسمى « القواعد الخارجية » ذو اهمية خاصة في حرب الشعب . ولعل اصرار بعض العسكريين البارزين على اعتبار « القواعد الخارجية » اهم اسباب نجاح الثورات ، يبرز هذه الاهمية . « ولقد رأى بعض المؤلفين في تنظيم هذه القواعد العامل الحاسم في هذا النوع من الحروب » (١) .

ومع ان انشاء « القواعد الخارجية » عامل هام ، فان القواعد التي تنشأ على ارض عربية ، خدمة لقضية فلسطين ، ليست « قواعد خارجية » ، الا اذا وافقنا على التجزئة المصطنعة ، وايدنا مزاعم اعدائنا في اننا امم وليس امة واحدة ، وتجاهلنا ارادة شعبنا العربي اينما كان . واذا كانت الدول الاستعمارية وحواشيها من المفكرين والكتاب ، يسمون هذه قواعد خارجية ، فلسنا ندعوها كذلك . ان القواعد التي انشئت على ارض تونس او المغرب لخدمة الثورة الجزائرية ، او القواعد التي تنشأ الآن في الاغوار او الجولان

---

(١) أ ـ الجنرال اندريه بوفر ، مدخل الى الاستراتيجية العسكرية ط . اولى ١٩٦٨ . منشورات دار الطليعة بيروت . ص ١٦٣ .

ب ـ الزعيم غبريال بونيه حروب العصيان والثورة ، ط . اولى ، ١٩٦٠، منشورات دار المكشوف ص (٣٠٩) .

او جنوب لبنان ، ليست قواعد خارجية .. انها قواعد داخلية ، مثلها مثل القواعد التي تقوم في فيتنام الشمالية لخدمة الثورة في الجنوب .

ولكن العدو مضطر ان يدعوها « قواعد خارجية » هنا في فلسطين ، كما هي الحال هنالك في فيتنام ، وكما كانت الحال في الجزائر . والهدف من ذلك هو اعتبار قيامها تدخلا في شؤونه، وبالتالي اعتبار اي عدوان يقوم به عليها عدوانا مبررا . الا ان اعتبارها « قواعد خارجية » يفرض على العدو الالتزام ببعض الاعراف الدولية . فالاعتداء على قاعدة للثوار الجزائريين في تونس هو اعتداء على تونس ، والاعتداء على قاعدة المقاومة الفلسطينية في الاردن هو عدوان على دولة الاردن وهكذا . وعلى الرغم من ان الغزاة الصهاينة في فلسطين ، كالغزاة الامريكان في فيتنام ، ككل الغزاة ، لا يحترمون اية شريعة دولية او انسانية ، فان وجود قواعد خارج منطقةاحتلالهم يجعلهم امام ثلاثة خيارات . فاما ان يلجأوا الى احتلال المناطق التي يكون الثوار قد انشأوا قواعد فيها ، او ان يلجأوا الى اتخاذ اجراءات ثأرية زجرية ، او ان يكتفوا بالشكاوى الى المنظمات الدولية واستخدام التهديد والضغط السياسي ، او ان يختاروا اكثر من حل في وقت واحد كالغارات الثأرية والضغط السياسي الخ ... ولقد اكتفت فرنسا ، بالنسبة للجزائر ، بالضغط السياسي على تونس والمغرب، وبانشاء خط موريس المكهرب لاغلاق الحدود مع تونس ،وببعض الغارات الانتقامية كالغارة على « ساقية سيدي يوسف » . ولم تفعل فرنسا شيئا مع الصين الشعبية لتأييدها فيتنام ، بعد سنة ١٩٤٩ ، كما ان الولايات المتحدة لم تستطع ان تفعل شيئا للصين نتيجة موقفها من الحرب الكورية . اما بالنسبة « لاسرائيل » فانها قد لجأت الى ما يلي :

اولا : مباشرة الضغط السياسي على الاردن وسورية ولبنان لمنعها من ايواء المقاتلين وتأييد الثورة الفلسطينية . واتخذ هذا

الضغط اتجاهات متعددة ، تمثلت بالضغط الامريكي ، وبترهيب الحكومات المعنية .

ثانيا : قامت « اسرائيل » باعتداءات على الحدود . وهي ما زالت تجرب الاعتداءات لتكتشف اكثرها فعالية .

ثالثا : بدأت « اسرائيل » بتجربة الحواجز الالكترونية ، وهي تفكر بانشاء حواجز مكهربة .

رابعا : ما زالت « اسرائيل » تهدد باتخاذ اجراءات اكثر حزما ، ومنها احتلال الاردن كما ورد في تصريح لاشكول ، او جنوب لبنان .

ولكن كل هذه الاجراءات لن تكون فعالة . فقد جرّبت الحواجز المكهربة والالكترونية في الجزائر وفيتنام ، وثبت عدم جدواها . وجرّب الضغط السياسي في حالات عديدة ، ولكنه لم يجد نفعا ، وجربت الاعتداءات الثأرية والزجرية فما اجدت فتيلا . فاذا فكرت « اسرائيل » بمزيد من الاحتلال ، واجهها اتساع رقعة المعركة ، وازدياد العناصر المشتركة في المقاومة ، وانتقال « القواعد الخارجية » الى مناطق اخرى . فهل تفكر « اسرائيل » بتوسيع رقعة الاحتلال ؟

انها قد تفكر بعمليات خاطفة واسعة النطاق تستهدف سحق القوى العربية العسكرية ، وفرض حكومات عميلة مسالمة . ولكن هذه الخطة فاشلة حتما ، ما دامت المقاومة الشعبية شعارا ، وما دام هذا الشعار يعبّر عن نفسه بالرصاص .

ولهذا فان اي عمل تقوم به « اسرائيل » خارج حدودها يجب ان يتحول ضدها : سياسيا ، باستثارة كل المنظمات الدولية والقوى المحبة للسلام ، وتعبئة القوى الشعبية المحلية ، وعسكريا بتوسيع ميدان المعركة ، وجرّ العدو الى الارض غير المؤاتية .

الثورة الفلسطينية
وأبعادها الوطنية والطبقية

مـــا هـــي
طبيعـــة الثـــورة الفلسطينية ؟

ما هي طبيعة الثورة الفلسطينية ؟

سؤال لا بد لنا من البدء بطرحه . ذلك ان هنالـك من يراها على غير حقيقتها ، وهناك من يصورهـا على غير مـا هي . وينبع هذا الاختلاف من طبيعة النظرة الى الثورة الفلسطينية .

ولكن الا نستطيع الاتفاق على تحديد عام لطبيعتها ؟

اننا نستطيع بالطبع ، اذا اتبعنا المبادىء العلمية في التحليل ، وتجنبنا النظرة الذاتية ، السطحية ، الوحيدة الجانب .

والثورات ، اذا مـا اخضعنا للتحليل ثلاثة اصناف :

الاول : الحروب الوطنية ، اي الصدامـات المسلحة بين قوى محليـة وقوى اجنبية .

الثاني : الحروب الاهلية ، اي الصدامـات المسلحـة بين

طبقة وطبقة او مجموعة طبقات .

الثالث : الحروب الاهلية ـ الوطنية ، اي الصدامات المسلحة التي تقاتل فيها مجموعة طبقات عدوا اجنبيا ، وطبقة او اكثر من ابناء البلد ذاته .

وثورتنا حتى الآن تندرج تحت اسم الصنف الاول . فهي صراع بين شعب غاصب وشعب اغتصبت ارضه ، وهي لذلك ثورة وطنية ديموقراطية ، حركة تحرر وطني .

فماذا نعني عندما نقول حركة تحرر وطني ، او ثورة وطنية ديمقراطية ؟

اننا نعني ما يلي :

اولا : ان العدو الاساسي ، بالنسبة للشعب الفلسطيني ، وللجماهير في هذه المرحلة التاريخية ، هو الاحتلال الصهيوني .

وهذا يعني :

أ ـ ان مصلحة كل الطبقات ان تتحالف لتقاتل الاحتلال الاجنبي ، لانها كلها تعاني من الاحتلال ، بدرجة او اخرى ، ولان الاحتلال افقدها كل شيء ، ولم يقدم لاي منها شيئا . والاحتلال الصهيوني يختلف في هذا عن اي احتلال عسكري اخر . ذلك ان اي احتلال عسكري ، كالاحتلال العسكري البريطاني للهند مثلا او الفرنسي للبنان او ... او ... ينمي على هامشه طبقة او طبقات ، تستفيد من وجوده ، كما حدث مع الاقطاع في مصر خلال عهد الاحتلال البريطاني . وتقف ، هذه الطبقة او الطبقات نتيجة ارتباط مصالحها بمصالح الاستعمار ، للدفاع عنه ، لانها تحس بأن زواله يعني زوال نفوذها . ولكن الاستعمار الصهيوني في فلسطين ، لم ينمّ اية طبقة على هامشه ، لانه لا يستطيع ان يقبل بالوجود السياسي او الاقتصادي لاية طبقة من الطبقات، على الارض التي يريدها خالصة له . .

ولهذا فاننا لا نجد ان طبقة الاقطاعيين قد نمت في ارضنا المحتلة ، بل نجدها انتهت ، ولا نجد البرجوازية الصناعية

ازدهرت ، بل نجدهـا زالت ، ولا نرى البرجوازية الصغيرة تتقدم، بل نجدهـا تتقهقر ، نتيجـة تفوق البرجوازية الصغيرة الصهيونية عليهـا ، ونتيجـة حرمـانها من كل امكانية للمبادرة او النمو .

ب ـ ان الحركة الوطنية الواسعة الشاملـة ، او الجبهـة الوطنيـة العريضة التي تضم كل من لهم مصلحة بمقاومة الاحتلال، هي التعبيـر السياسي السليم عـن هذه الحقيقة الموضوعية .

جـ ـ ان هذا التحالف المرحلي ، لا يلغـي بمقـدار ما هـو حصيلة ظروف موضوعية ، الصراع والتناقض بين الطبقات ، ولا يستطيع انهاءهما او القضاء عليهمـا ، لان هـذا الصراع وهـذا التناقض موجودان مـا وجدت الطبقات ، لانهمـا منبثقان من الدور الاقتصادي لكل طبقة ، وبالتالي من الدور السياسي لها .

ثانيا : ان التغيير الاساسي الذي يجب ان يحدث في هـذه المرحلـة التاريخية ، هو انهاء الاستعمار الصهيوني ، عـن طريـق تحالف الطبقات ذات المصلحة في ذلك ، ونضالهـا المشترك فـي سبيل تحقيق هذه الغاية . هذه هي مهمتنا الاولية والرئيسية ،كما كانت « المهمة الاولية والرئيسية » في الصين سنـة ١٩٣٩ . « هي الثورة الوطنيـة من اجل قلب الاستعمـار » (١) . وتقرر هذه الحقيقة عاملان :

اولها : اولوية انهاء التناقض الاساسي مرحليا ، لان محاولة تجاوز التناقض الاساسي الى صراعات ثانوية ، تؤدي الـى عـدم حل اي منها ، ولان التناقض الاساسي مرحليا لا بـد مـن حلـه لنكون قادريـن على حل التناقضات الاخـرى. وعندمـا يكـون هنالـك احتلال اجنبي يكـون هذا الاحتلال هو التناقض الاساسي، ويكون حله هـو المهمة الاساسية للحركة الوطنية ، ولكل الفئـات الوطنية . فلم يكـن ممكنا مثلا ان تطرح الطبقة العاملة الفرنسيـة مسألة انهاء الرأسماليـة الفرنسيـة خلال الاحتلال النازي ،ودون

---

(١) ماوتسي تونغ : المؤلفات المختارة ، المجلد الثاني ص ٤١٧ .

ان تطرح اولا قضية انهاء هذا الاحتلال .

ثانيهـا : ضرورة التحالف الطبقـي بيـن الطبقـات الوطنيـة مرحليـا من الناحيتيـن الاستراتيجيـة والتكتيكيـة . ذلـك ان مواجهـة عدو اجنبي ، تقتضي حشد كل القوى **ذات المصلحة** فـي مقاومة الاحتلال ، وتوعية من لم يع هذه الحقيقة منها ، وهذا يفرض ان يطرح خلال الاحتلال برنامج الجبهـة الوطنيـة ، وليس برنامجا طبقيـا لطبقـة واحدة .

والبرنامج الوطني ـ برنامج الجبهـة الوطنيـة ، او حركـة التحرر الوطني ، هو البرنامج المرحلي للطبقات المشاركة في الجبهة ، وهـو برنامج يتغير حسب الدور الذي تلعبه كل طبقـة في الحياة الاقتصادية ، وبالتالي في الحياة السياسية . ولكنه ، على كل حال ، برنامج له مهمـة اساسيـة واضحـة لا يجوز تجاوزها او تجاهلها او الاستخفاف بهـا .

فاذا كانت البروليتاريا منظمـة وقائدة ، كما حدث في الصين خلال حرب التحرير (١٩٣٧ ـ ١٩٤٩) ، وكمـا هو حاصل فـي فيتنام اليوم ، تحولت حركة التحرر الوطني الى ثورة وطنيـة ديمقراطية ، تضع اساس النظام الاشتراكي ، قبل رحيل الاستعمار . واذا لم تكن ، كما حدث في الجزائر ، انجزت المهمة الاساسيـة للمرحلة : التحرير ، وبقيت المهام الاخرى تنتظر التحقيق ، من خلال تطور البروليتاريا وحزبها الثوري . ولان التناقض الاساسي الآن هو التناقض مـا بيـن امتنـا والاحتـلال ، تكـون القضية قضية وطنيـة « قوميـة » .

وسوف تظل كذلك ما دام هنالك احتلال .

ولكن هنالك تحوّلان يمكـن ان يحدثان :

الاول : حين ينمو حزب البروليتاريا ، ويحتل دورا اساسيا او قياديـا في المعركة . وهنا لن تتغير طبيعة المعركـة ، ولكنهـا ستتحول من حركة تحرر وطني عادية ، الى ثورة وطنية ديمقراطية ذات توجه اشتراكي ، كمـا حصل في الصين ، وكمـا هـو حاصل

في فيتنام .

الثاني : حين تصف طبقة من شعبنا مع الاحتلال ، لتحارب دفاعا عنه ، كما هو حاصل الآن في فيتنام الجنوبية . وفي مثل هذه الحالة ، فان طبيعة المعركة الاساسية لن تتغير ، ولكنها ستصبح معركة وطنية ـ طبقية في الوقت ذاته . وسيظل برنامج الجبهة الوطنية هو برنامج الثورة . ولكنه سيكون برنامج الطبقات الاكثر وطنية والاكثر تقدما ، لان طبقة شبه الاقطاعيين والكومبرادور والعناصر المتأخرة من البرجوازية ، لن تكون عبئا على الجبهة الوطنية .

قال ماوتسي تونغ سنة ١٩٤٠ : « ان القتال من اجل بقاء الامة الصينية ، مسؤولية تقع على عاتق جميع الاحزاب والجماعات السياسية المناهضة لليابان ، وعلى الشعب بأسره .. » (١) . ونحن نقول بان القتال من اجل بقاء الامة العربية ، مسؤولية تقع على عاتق جميع الاحزاب والجماعات السياسية المناهضة للصهيونية والاستعمار . وهذه مهمة وطنية « قومية » ، وهي مهمة طبقات لا طبقة واحدة ، انها مهمة الشعب بأسره ، ما عدا الخونة والعملاء.

وحين تقارع الامة عدوا اجنبيا « يتخذ نضال الطبقات شكل نضال وطني قومي ، وفي هذا الشكل تتجلى وحدتها » (٢) .

---

(١) ماوتسي تونغ ، المؤلفات المختارة ، المجلد الثاني : « الوحدة حتى النهاية » ، ص ٥٨٧ .

(٢) ماوتسي تونغ ، الثورة الصينية وبعض قضاياها ، ص ٢٩ ، دار دمشق للطباعة والنشر ، طبعة ثانية ١٩٥٨ .

هل الثورة الفلسطينية

حركـة قوميـة عربية ؟

اذا كانت الثورة الفلسطينية حركة تحرر وطني ، فهل هي حركة قطرية اقليمية فلسطينية ام حركة قومية عربية ؟ ان هذا السؤال يطرح نفسه اليوم بعنف وشدة . ولقد كان حتى وقت قريب موضوع همس ، وموضوع مناقشات تدور في حلقات المثقفين ، اما اليوم فهو موضوع حوار تطرحه الصحف والنشرات والمجلات والحركات المقاتلة .

ولقد كان الحوار الذي طرحه الدكتور عصمت سيف الدولة في مجلة الآداب ، من اهم ما قرأت في هذا المجال (١) . واذا كان الدكتور عصمت سيف الدولة قد حكم على الثورة الفلسطينية بانها ثورة اقليمية ، وطالب بأن تهب القوى القومية العربية لكي تكوّن : « كتائب » انصار « المعركة » ... « في كل مكان من الوطن العربي لدعم المقاومة فكريا وماليا وبشريا وسياسيا وعسكريا، تمهيدا لالتحامها مع المقاتلين القوميين، من خلال مؤتمر

---

(١) العدد الاول ، كانون الثاني ١٩٧٠ ـ « المقاومة من وجهة نظر قومية » .

قومي ينبثق عنه التنظيم القومي الاشتراكي الثوري » ، فان هنالك احزابا بادرت الى انشاء منظمات مقاتلة ، لكي تجسد البعد القومي للثورة الفلسطينية .

وكان من الطبيعي ان يزداد الحوار حدة وتعقيدا ، بعد ان اخذت الامور تطرح نفسها ، وكأن هنالك اتجاهين في الحركة الوطنية الفلسطينية ، احدهما قومي والاخر اقليمي ...

لماذا حدث ذلك ؟

حدث ذلك لعدة اسباب ، اهمها ما يلي :

الاول : لان حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، وهي حركة عربية واقعا ومنطلقا ومصيرا ، اكتفت بالتعبير السياسي عن حقيقتها وطبيعتها، ولم تهتم كثيرا « بأدلجة » منطلقها القومي. ولما كانت المواقف السياسية تتطلب الكثير من « المرونة » ، فقد كان الحديث عن ثورة فلسطينية ، وعن عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، يبدو وكأنه اقليمية مريضة .

الثاني : لان الذين اخذوا على الثورة الفلسطينية بقيادة فتح هذا المأخذ ، لم يحاولوا تحليل ابعادها ، ولم يكلفوا انفسهم عناء دراسة خطها الاستراتيجي . ذلك ان اية دراسة للخط الاستراتيجي للثورة الفلسطينية توضح ان هذه الثورة تنطلق من منطلق قومي عربي .

ولقد تجلى هذا الخط ، عبر شعارين تكتيكيين :

١ ــ شعار : ثورة فلسطينية عربية العمق والامتداد .

٢ ــ شعار : ثورة فلسطينية وجبهة عربية مساندة .

وهنالك الدلائل التي تشير الى ان هذا الشعار سيتحول الى شعار : جبهة عربية مقاتلة .

الثالث : لان حركة التحرر الوطني الفلسطيني (فتح) ، انشأت تنظيما فلسطينيا ، ورفعت شعارات قطرية ، مثل تحرير فلسطين ، الخ . وكان هذا يبدو في الوقت الذي يزداد فيه الشعور بضرورة الوحدة العربية ، وبوحدة المعركة والمصير بالنسبة

للامة العربية كلها ، نوعا من الاقليمية .

الرابع : لان الصراع السياسي الذي نتج عن ميلاد الحركة الثورية الجديدة ، حفز العديد من الحركات والاحزاب الاخرى للبحث عن « مقاتل » اعلامية لها ، وعن مبررات لاستمرار وجود هذه الاحزاب والحركات سياسيا . كانت الحركات والاحزاب القومية تحس بأن دعوتها القومية مصدر قوة لها ، ما دامت المعركة معركة المصير العربي الشامل ، وما دامت فلسطين ليست الا جزءا من هذا الوطن العربي الكبير ، وكانت تحس ايضا بأن مقتل الحركة الجديدة كامن في شعارها الذي رفعته : ثورة فلسطينية . فعمدت هذه الحركات على موالاة الضرب على هذا المقتل ، ناسية انه لن يقنع المواطن العادي بالتحول عن الثورة الفلسطينية ، لانه ، بحسه العفوي السليم ، لم يرَ فيها حركة اقليمية ، ولانه في نفس الوقت لم يستطع ان يصدق بأن الذين يطعنونها اكثر ايمانا بالقومية ، واكثر خدمة للقضية القومية منها.

الخامس : قاد هذا الصراع الى اشكال من المزايدة السياسية، حتى ان عددا من الاحزاب الشيوعية العربية ، التي لم تكن تطرح القضايا العربية في اي يوم من الايام طرحا قوميا ، اخذت على الثورة الفلسطينية ، ما اسمته محاولة عزل القضية الفلسطينية عن حركة التحرر الوطني العربية .

ولقد عاشت الثورة الفلسطينية هذا المأزق منذ ايامها الاولى فهي من ناحية مضطرة لان تتعامل مع دول عربية « اقليمية » ، وان توجد على اراضيها . وهذه الدول ، سيان تبنت القومية العربية او لم تتبنها ، لها كياناتها القطرية ، وسياساتها القطرية وقوانينها ومصالحها . وهي من ناحية اخرى لم تجد حركة قومية فعالة ومندفعة وكفوءة، تكون قادرة على تحدي هذه الاوضاع « القطرية » ، وتكون مؤهلة لخوض معركة التحرير ، لكي تندمج بها ، وتصبح فصيلة من فصائلها .

عند ميلاد حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) كانت

الناصرية جماهيريا في اوج صعودها . ولكنها كانت موجة جماهيرية متدفقة ، لا تملك القدرة على الفعل الواعي خارج مصر. وحين حدث الانفصال ، اصيبت الموجة الناصرية باعتبارها حركة قومية ، بهزيمتها القاصمة التي لم تقم بعدها لها قائمة . وما ان اطلقت **الرصاصة الاولى** حتى كانت الناصرية تعاني سكرات الموت ، لانها كانت قد فشلت في التحول الى حركة قومية منظمة. وجاءت هزيمة حزيران لتنهي الحلم الكبير ، ولتطرح الثورة الفلسطينية بديلا .

ولكن الثورة الفلسطينية التي اخذت تستقطب الجماهير في طول الوطن وعرضه ، كانت غير مهيأة لقيادة هذه الجماهير وغير قادرة عليها . غير مهيأة ، لانها كانت تنظيما قطريا ، وغير قادرة لان محاولتها دخول ميدان العمل القومي كانت ستقودها الى صراع دام ، لا مع الانظمة فقط ، ولا مع الكيانات والمصالح فحسب ، بل مع الاحزاب والحركات القومية والوطنية ايضا .

ولما كانت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) حريصة على :

١ ـ توجيه كل جهودها نحو العدو الرئيسي ، ممثلا بالاحتلال الصهيوني .

٢ ـ اقامة تحالفات مع كل القوى الوطنية ، لان معركة التحرر الوطني تقتضي ذلك ، ولان اي صراع ، مع اي طرف من الاطراف الوطنية سيكون هدرا للطاقات ، وحماقة ما بعدها حماقة .

٣ ـ محاولة تلافي الصدام مع اية قوة غير العدو الرئيسي، ومحاولة كسب المترددين وتحييد المعادين ، ولو مؤقتا ان امكن .

لما كانت الحركة حريصة على ذلك كله اضطرت الى استخدام التكتيك المناسب ، الذي يجنبها الصدام الحاسم مع اية قوة من القوى في هذه المرحلة ، لان الصدام الحاسم كان سيعني خلق مشاكل وصعوبات لا حد لها ، ان لم يعن تدمير الثورة كليا .

ولكن حركتنا ، حتى وهي تستخدم هـذا التكتيـك المـرن المتمثل في شعار : لا تدخل في شؤون الدول العربية مرة ، وفي شعار : ثورة فلسطينية وجبهة عربية مساندة مرة اخرى ، كانـت تبني وجودها القومي من خلال ما يلي :

١ ـ الاستقطاب الجماهيري العربـي .. ذلك ان الكفـاح المسلح الذي يدور على ارض فلسطين ، يستقطب قلوب الملايين الغفيرة من ابناء الامة العربية كلهـا . ونستطيـع ان نقـول بـأن الجماهير العربية لم تتوجه في تاريخها الحديث ، كما توجهت الى هذه الثورة . وما ذلك الا لان الثورة تعبر عن الحرقـة المصيريـة لدى الجماهير العربية . والعربي ، كل عربي ، لا يحيط هـذه الثورة بما يحيطها به ، الا لانه يرى فيها فرقة الصدام مع قـوى الصهيونية والامبريالية ، ولانـه يحس بأنهـا دفـاع عـن الوطن والارض ، ورد على الهزيمة ، وانتقام للكرامة المذلة المهانة .

وهذا الاستقطاب ، هو الذي يحدد آفاق تطور الثورة ، لانه العامل الاساسي والاول من عوامل قوتها ، الذي لا تستطيع دونـه ان تعيش او ان تنتصر .

٢ ـ محاولات الثورة تكوين الجبهات المساندة : صحيح ان هذه المحاولات ما زالت بدائية ، ولكن هنالك محاولات . وهـي تتراوح بين التعاون مع حركات وطنية موجودة ، وبين انشاء لجـان لنصرة الثورة ، وبين دعـوة عامـة لاستثارة الهمم وخلـق منـاخ ثوري . وان هذه المحاولات ، مهما كانت بدائية ، قد استطاعت ان توفر للثورة ما يلي :

أ ـ دعما شعبيا ماليا يسد حاجات الثورة منذ انطلقت حتى الان ، دون ان تعتمد كليا على اية دولة من الدول .

ب ـ دعما سياسيا معنويا ، جعل الثورة قادرة على مواجهة مؤامرات القوى المضادة ، ومؤامرات الحلول الاستسلامية .

جـ ـ احتضانا حقيقيا حين اصطدمت الثورة مع الانظمة، كما حدث في ١٩٦٨/١١/٤ في عمان ، وفي ابريل واكتوبر ـ نوفمبر

سنة ١٩٦٩ في لبنان .

٣ ـ بناء القواعد الارتكازية في البلاد العربية المحيطة بدولة الاحتلال . ولقد كان بناء هذه القواعد تعبيرا عن ايمان الثورة بأن المعركة واحدة ، وتطويرا للثورة بحيث تمتد رقعة حركتها امتدادا قوميا .

واذا كان الاستقطاب الجماهيري ما يزال عفويا ، او قريبا من ذلك ، واذا كانت محاولات خلق جبهات مساندة ما زالت بدائية ، فان انشاء القواعد الارتكازية اثبت نجاحا في تحقيق التحام سياسي وقتالي مع الجماهير العربية في الاراضي المجاورة للاراضي المحتلة . ففي الاردن مثلا ، هنالك نسبة كبيرة من اعضاء الحركة ومقاتليها من ابناء الضفة الشرقية ، ومع تطور المعركة سيزداد عدد المشاركين فيها من هذا القطر او ذاك .

وانني لاحس بأن الذين يصنفون حركتنا على انها حركة اقليمية ، لا يدركون الموضوعية التي تحركها وتسيرها ، ولا يدركون العوامل الذاتية التي تقودها .

ولو عدنا الى العوامل الموضوعية هذه لوجدناها تتلخص فيما يلي :

اولا : ان فلسطين جزء من الوطن العربي ، ارضا وثقافة وتاريخا واقتصادا ومصيرا . وهذه حقائق لا يمكن نقضها او دحضها . وهي حقائق لا يماري فيها ممار ، وليس هنالك فئة فلسطينية او طبقة او حركة تتبنى اتجاها سياسيا اقليميا ، كما حصل في مصر او لبنان مثلا .

ثانيا : ان الثورة الفلسطينية جزء من الثورة العربية . وهي عندما تتصدى للاحتلال الصهيوني ، فهي انما تتصدى لاحتلال يستهدف البلاد العربية كلها . وهذه حقيقة من حقائق الثورة العربية المعاصرة .

ثالثا : ان الجماهير الفلسطينية ، نتيجة لما سبق ، تعيش عروبتها معايشة حقيقية . لانها في القلب من الوطن العربي ، ولان

صغر مساحة فلسطين ، وقلة عدد سكانها ، وخطورة المؤامـــرة التي تتهددها ، جعل جماهيرها تفكر دائما بكل ما يحدث علـــى الارض العربية ، وتختلج افئدتها لكل انتفاضة تحـدث هنـا او هناك على ارض العرب .

رابعا : لان الاحتلال الصهيوني لم يتح لاية طبقة فلسطينيـة ان تكون مصالح او تبني مواقع . لقد دمر هذه الطبقات جميعا، من حيث وجودها على ارضها، ولذلك فليس هنالك مصلحة لطبقة او موقع لفئة يدفعها لان تسلك سلوكا اقليميـا او تفكـر تفكيـرا اقليميا .

واذا كانت العوامل الموضوعية تحسم القضية ، فان هنالـك عاملين ذاتيين ينسجمان تمام الانسجام مع العوامـل الموضوعية. اول هذين العاملين : ان قيادات هذه الحركة وعناصرها واعضاءها مؤمنون ايمانا قاطعا بان فلسطين جزء من الارض العربية ، وبـان جماهيرها بعض من جماهير هذه الامة . ولقد سمعـت الاخ ابـو عمار يتحدث مرة الى الصحافي الفرنسي المعروف اريك رولـــو قائلا له : فلسطين جزء من الوطن العربي ، ومن يتصور بانهـــا تستطيع ان تعيش في دولة منفصلة يخدع نفسه ، الا اذا كانـت هذه الدولة عميلة للصهيونية العالمية . وثاني هذين العامليـن ان هذه الحركة ، قيادات وعناصر واعضاء تعي ان اية استراتيجية او اي تكتيك لمعركة معزولة على ارض فلسطين، انما هما استراتيجية وتكتيـــك فاشـلان . ونـــود ان نـورد الان مـــا قالـه الاخ ابو اياد في هذا الصدد ، في مقابلة اجرتها معه جريدة الاهـــرام بتاريخ ١٩٧٠/١/٣ . قال الاخ ابو اياد ، ردا على سؤال حـــول مفهوم الجبهة المساندة :

... « نحن نعرف اننا وحدنا لا نساوي شيئا ، وان المنبـع الكبير الذي يجب ان يرفدنا ويرفد ثورتنا هو الشعـب العربـي، فرفعنا شعار الجبهة المساندة ، لايماننا بأن قضية فلسطين هـي

قضية الامة العربية كلها ، وان لا بد لاخواننا العرب ان يشاركوا معنا في هذه الثورة » .

وبعد ان يتحدث الاخ ابو اياد عن دور بعض الجيوش العربية الان يضيف :

« فالمشاركة ، اذن ، موجودة ، ولكننا نريد لهذه المشاركة صورة اوسع وتنظيما اشمل » .

« وستعمل فتح في القريب العاجل على ان يكون بين صفوفها العدد الكبير من ابناء الامة العربية ، حتى نترجم صورة الكفاح الى صورة واقعية يلتحم فيها الدم بالدم ، وحتى تصبح المشاركة ضمن وثيقة تسطرها دماء الاحرار من اخواننا العرب في كل مكان » .

ويزيد الاخ ابو اياد على ذلك قائلا :

« بين صفوفنا مقاتلون ومناضلون عرب . وبيننا ـ حتى في التنظيمات السياسية ـ اخوة من العرب . وهم معنا دائما، وليس هنالك اي انفكاك بيننا وبينهم » .

« اما التنظيم العام على مستوى الامة العربية كلها ، فهو بحاجة الى وقت وبحاجة الى فترة من الزمن ، وسيأتي الوقت سريعا الذي يلتحم فيه الشعب العربي في المعركة ، وساعتها ستكون الثورة الحقيقية... ستكون الثورةالعربية الكبرى » (١).

وهكذا نرى ان العوامل الموضوعية تلتقي مع العوامل الذاتية لتحدد طبيعة الثورة الفلسطينية وطبيعة تطورها . ولكننا ، وعلى الرغم من ذلك ، نجد من يصنف الثورة الفلسطينية بين الحركات الاقليمية ، ويطرح لها بديلا « قوميا » .

فاذا كانت الثورة الفلسطينية حركة قومية عربية ، فهل نستطيع ان نقول بانها حققت وجودها القومي ؟

---

(١) ملحق الاهرام ، بتاريخ ٣ـ١ـ١٩٧٠ ، اسرار الكفاح المسلح في مناقشة صريحة مع قيادة فتح .

لن نستطيع الاجابة على هذا السؤال ، الا اذا حددنا المقصود من الوجود القومي تماما .

اذا كان المقصود استقطاب الجماهير على النطاق القومي ، فاننا نستطيع ان نقول بان الثورة حققت ذلك . واذا كان المقصود تخطي الحدود الاقليمية وحواجز الجمارك والشرطة وما شابه ، فاننا نعتقد بان الثورة الفلسطينية فعلت ما لم تستطع فعله حركة سياسية في تاريخ العرب الحديث . واذا كان المقصود ارتباط الثورة بايمان لا يتزعزع بوحدة الامة العربية ، فان هذا وارد لا يقبل النقاش ولا الجدل .

ولكن اذا كان المقصود ايجاد تنظيمات قومية للثورة الفلسطينية وحدها . لان الطلائع الفلسطينية التي حملت الراية ، وعبدت طريق الكفاح المسلح ، وحطمت عوائق الرهبة والهزيمة والعجز ، ليست هي المطالبة بتنفيذ هذه المهمة وحدها ، لا لانها تعتقد بأنه ليس من اختصاصها القيام بذلك ، ولا لانها تعتقد بأن من واجب الحركة الوطنية في كل قطر ان تتحمل مسؤوليتها، ولكن لان هذه المهمة هي مهمة كل الوطنيين العرب، وكل التقدميين العرب ... مهمة الجماهير العربية .

وهذا ما نعتقد بأن المرحلة المقبلة ستحققه، بهذه الوسيلة او تلك.

واذا كان الدكتور عصمت سيف الدولة يطرح فكرة «كتائب انصار المعركة » ، فلا شك بأن تطور المعركة مع الصهيونية ، سيدفع قطاعات اوسع فأوسع من الجماهير العربية لدخول المعركة من ابوابها المختلفة .

واذا كنا قد سخرنا فيما مضى من شعار : الوحدة العربية من خلال المعركة وشعار فلسطين طريق الوحدة ، فاننا لا بد ان نعترف بأن المعركة التي تشنها الصهيونية ضدنا ، تقود جماهيرنا فعلا الى القناعة التامة ، بأنه لا بد من الوحدة خلال معركة الصمود والمواجهة والمقاومة ، وبأن هذه الجماهير ستفرض مثل هذه الوحدة .

ولكن كيف يتم ذلك ومتى ؟

ان هذا مرهون بعوامل عدة ، ولعل اهم هذه العوامل ما يلي:

اولا : مدى قدرة الجماهير العربية التي منحت الثورة الفلسطينية كل هذا العطف وهذه الثقة ، على تحويل ارادتها الى مشاركة منظمة مقاتلة .

ثانيا : مدى قدرة الحركات الوطنية على ادراك خطورة الموقف في المنطقة ، وقدرتها على العمل انسجاما مع ما تفرضه المصلحة القومية .

ثالثا : مدى قدرة الحركات الوطنية على النظر الى حركتنا على انها طليعة زحف عربي ، بدلا من ان تنظر اليها بعين المنافسة والريبة .

رابعا : مدى قدرة الثورة الفلسطينية على النفاذ الى كل بيت في الوطن العربي ، ومدى قدرتها على تصعيد استقطابها الجماهيري على الارض العربية .

ان هذه العوامل هي التي تحدد كيف ستتحقق الوحدة من خلال المعركة ، ومتى ستتحقق . ولكننا نحس بأننا مطالبون هنا ببعض ملاحظات :

اولها : ان الثورة الفلسطينية تعمل باستمرار وبجهد ودأب من اجل تطوير علاقاتها بالجماهير العربية ، وانها تفعل ذلك بوعي احيانا وتحت ضغط ظروف المعركة في احيان اخرى . ولكنها صانعة ذلك على كل حال ، وهي في كل يوم تتعمق اتجاها وتتوسع آفاقا في هذا المجال .

ثانيها : ان الدول العربية ، والاحزاب والحركات العربية، هي التي تحاول ان تضع حدودا لعلاقة الثورة بالجماهير العربية، وهي التي تحاول ان تقنن هذه العلاقة ، وان تحولها الى علاقات من خلال اجهزة وانظمة. وان محاولات التضييق هذه، ومحاولات التقنين التي تتم باسم العمل القومي ، ليست عملا قوميا على اية حال .

ثالثها : ان التناقضات العربية ، بين دولة ودولة او حركة وحركة ، وكل الحساسيات والحزازات والاختلافات والمصالح والمطامح تقف في طريق تطوير هذه العلاقة ، وتحاول جهدها جر الثورة الفلسطينية الى هذا الموقع او ذاك ، وربطها بهذا المحور او ذاك . وهذه تناقضات وصراعات لا تستطيع الثورة الفلسطينية ان تتجه الى حلها ، وان كانت ستساهم في حلها ، بما تخلقه من مناخ ثوري في البلاد العربية ، وبما تفرضه من تصعيد للمعركة.

ولكن هذا كله لا يجوز ان ينسينا حقيقة واضحة هي ان هنالك نزعات فلسطينية اقليمية تبدو هنا وهنالك . ان مثل هذه النزعات تبدو في تصرفات بعض الافراد ، كما تبدو احيانا في تحليلات افراد اخرين .

ويعود ذلك ، فيما ارى ، الى ثلاثة عوامل :

الاول : وجود ضيق افق سياسي لدى بعض من العاملين في ميدان الثورة الفلسطينية. وهؤلاء الذين عانوا كثيرا من السياسات العربية ، لم يستطيعوا ان يفرقوا بين الاستراتيجية والتكتيك، وآمنوا بأن الثورة الفلسطينية ثورة فلسطينية فحسب ، واخذوا يدافعون بغباء عن فلسطينيتها ، دون ان تكون لديهم المقدرة على تحديد الفروق بين الفلسطيني والعربي ، بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية .

ولقد انصبت ردود الحركات الوطنية والمنظمات الفدائية على هؤلاء ، وكأنهم ممثلو اتجاه حركة التحرير الوطني الفلسطيني .

الثاني : وجود فئة فلسطينية من المتمولين وصغار التجار والحرفيين ، الذين يريدون ان يستفيدوا من الثورة الفلسطينية ، في منافسة امثالهم واندادهم في البلاد العربية . حتى اننا نجد عددا من اصحاب الدكاكين في بلدة ، يثيرون نعرة فلسطينية اقليمية ، كما اننا نجد عددا من المتمولين الفلسطينيين يتحدثون عن الكيان ، ويحاولون جعل منظمة التحرير دولة في المنفى . انهم يريدون ان يروا للفلسطيني دولة ، ويريدون ان يروا انفسهم

سادة في دوائر .

الثالث : وجود عمل دائب من جهات رسمية وشعبية عربية، تقدمية ورجعية، من اجل تكريس فلسطينية الثورة الفلسطينية.. ويعود ذلك اساسا الى ان هذه الجهات تريد أن تعفي نفسها، وتبعد جماهيرها عن ميدان الصراع في فلسطين .

وعلى الرغم من هذه العوامل كلها فان الثورة الفلسطينية تسير في خطها السليم : خط التحول الى ثورة عربية شاملة، مهما كانت العثرات والعقبات .

ما هو المطلوب من الثورة الفلسطينية ؟

وما هو المطلوب من الوطنيين العرب ؟

فاذا كان مطلوبا من الثورة الفلسطينية ان تخاطب الوطنيين العرب باللغة المكتوبة المحسوبة ، بالاضافة الى لغة الممارسة ، وان تطالبهم بتحمل مسؤولياتهم محددة هذه المسؤوليات ، وفاضحة المتخاذلين والمقصرين ، فان المطلوب من الوطنيين العرب الذين يتهمون الثورة الفلسطينية بالاقليمية ان يكونوا « قوميين » .

ان الثورة الفلسطينية لم تحدد برنامجها القومي حتى الان كتابة . لقد اكتفت بالتوجه الى المواطنين العرب ، مخاطبة كرمهم واريحيتهم حينا ، ومستثيرة عواطفهم في احيان اخرى . ولكنها لم تطرح برنامجها القومي مكتوبا ، ولما تسع حتى الان الى دعوة كل الشرفاء والمخلصين للالتزام بهذا البرنامج. ان هذا «القصور»، ليس ناتجا عن ان الثورة الفلسطينية اقليمية ، ولكنه ناتج عن ان بين الثورة الفلسطينية والجماهير العربية حواجز وسدودا ، لم يكن بامكانها ان تجتازها مرة واحدة ، ولا في سنة واحدة . ولكن الثورة الفلسطينية تتخطى هذه الحواجز والسدود واحدا فواحدا،

ويوما فيوما ، وما اظن الوقت الذي تعلن فيه برنامجها القومي بعيدا .

هل يدرك المثقفون العرب هذه الحقيقة ؟

ان الكثيرين منهم ما زالوا يرفضون ادراكها . لا لانهم يواجهون مشكلة معقدة ، ولكن لانهم يناقشون القضايا مناقشة سطحية وسفسطائية ، ويطلقون الاحكام جزافا . انهم «مثقفون» يريدون ان يتجنبوا عناء التحليل ، و « سياسيون » لا يريدون ان يعرفوا جدل السياسة . وهم فوق هذا وذاك « ملتزمون » لا يريدون تحديد مسؤولياتهم ولا يريدون تحملها .

ولو كانوا يدركون مسؤولياتهم لفعلوا غير ما يفعلون . ولاتجهوا بادىء ذى بدء الى تحليل وضع الثورة الفلسطينية ، من خلال تحليل الوضع العربي ، ولعرفوا اين تقف الثورة الفلسطينية، وماذا تمثل الان ، ولحددوا لهم دورا غير النعيق والتصفيق .

ان الفرق بين الدكتور عصمت سيف الدولة مثلا ، وبين رؤوف نظمي ، وكلاهما مثقف ، وكلاهما من الجمهورية العربية المتحدة ، هو ان الدكتور رؤوف نظمي انضم الى قواعد المقاتلين ليخدمهم بكل ما يملك، وليساعد الثورة على البقاء والنمو والتقدم. وهو من داخل صفوف الثورة ينتقد ويوجه، ولكنه يعرف ان مهمته الاساسية هي ان يساهم في تثبيت وجود الثورة وتنميتها وتطويرها . اما الدكتور عصمت سيف الدولة ، فقد اختار ان يبدأ من خارج الثورة . لماذا ؟ لان الثورة اقليمية وهو قومي . والقومي لا يساهم في ثورة اقليمية ، على الرغم من انه يعترف بأن الثورة الاقليمية هي وحدها التي ستخلص لقضية التحرير حتى النهاية. ومع هذا فهو يعلن للجمهور واثقا ومؤكدا بأن المقاومة الاقليمية لن تنتصر ، لان الذي سينتصر هو نفيها او نقيضها القومي .

ويلذ للدكتور عصمت سيف الدولة ان يؤكد على الصفة الاقليمية للثورة الفلسطينية ، لانه قومي ، والقومي بالطبع ضد الاقليمية . ولكنه يعلم ان التركيز على الاقليمية صفة للثورة،

والتركيز على نقدها لا يخدم الثورة ، حتى لو ارتبط بالتأكيد على الالتزام بدعمها . لان التأكيد على الاقليمية صفة للثورة لا يطرح قضية تطويرها ، بل يطرح قضية ايجاد بديل قومي لها .

وايجاد البديل القومي يستلزم :

اولا : اسقاط حركة التحرير الوطني الفلسطيني فكريا وسياسيا وخلق المؤسسة البديلة .

ثانيا : تحديد خط سياسي جديد غير الخط الحالي .

وعملية من هذا القبيل لا يمكن ان ينظر اليها باستخفاف .

ان ما نود ان يعلمه الدكتور عصمت سيف الدولة هو ما يلي:

١ ــ ان « دعوته » هذه ليست جديدة ، وان هنالك الكثيرين الذين يطرحون القضية مثل طرحه لها ، وقد انشئت منظمات تحت شعارات من هذا القبيل .

ولقد كنت انا احد الذين آمنوا بشعارات مماثلة قبل اوائل سنة ١٩٦٥ . ولكن ثبت لي ان تلك الشعارات طوباوية وعاجزة . فالوحدة ، وحتى وحدة دول الطوق ، ليست بديلا للثورة الفلسطينية ، وليست ضرورية لانطلاقها . ولكنها ضرورية لاستمرارها وتقدمها .

واذا كانت الثورة قد انطلقت قبل قيام الوحدة ، الوحدة الشاملة ، او وحدة دول الطوق ، او حتى قبل التنسيق ، وقبل قيام الجبهة الشرقية ، فليس معنى هذا ان الثورة على خطأ ، ونحن دعاة الوحدة على صواب ، بل معناه ان تجربة التاريخ اغنى من تجربة الفلسفة، وان على الثوريين والسياسيين والمفكرين والفلاسفة ان يكتشفوا هذه الحقيقة ، والا اصيبوا بالعقم ، وافلتت مقاليد الامور من ايديهم .

قال لينين مرة : « التاريخ ، وبصورة اخص تاريخ الثورات ، هو دوما اغنى في محتواه ،واكثر تنوعا في الاشكال والمظاهر، واكثر حياة ، « واكثر دهاء » مما تتصور افضل الاحزاب ، واكثر الطلائع

وعيا من الطبقات الاكثر تقدما » (١) .

واننا نقدم هذه الحقيقة للذين يريدون فرض نمط من الفكر الطوباوي على التاريخ ، على الرغم من ان الاحداث تجاوزته .

٢ ــ ان طرح اية قضية سياسية هو عمل سياسي . وهذا يعني ان طرح اية قضية سياسية له اثره السياسي اطلاقا . فاذا ما الصقنا تهمة الاقليمية بحركة سياسية ليست اقليمية، في وقت نحن نعرف فيه ان الاقليمية « تهمة سياسية » ، وفي وقت تؤمن الجماهير فيه بالعمل القومي ، كنا نعلن بأعلى اصواتنا اننا ضد هذه الحركة ، حتى لو اعلنا بأننا نعمل على دعمها ومساندتها . والذين يعملون في السياسة لا يجوز ان ينسوا هذه الحقيقة . لان نسيانها يعطي العدو فرصة للاقتناص وللضرب .

ولقد وقع الدكتور عصمت سيف الدولة في الشرك . ذلك انه تجاهل هذه الحقيقة ، كما تجاهلها الذين وجهوا الى الثورة الفلسطينية « انتقادات » مشابهة من قبل . نسي عصمت سيف الدولة ان القوى المضادة التي تريد ان تطعن الثورة ، يهمها ان تطعنها في « المقاتل » ، لتشوهها في نظر جماهيرها . فالثورة اقليمية بالنسبة للقوميين ويمينية عند اليسار ، ويسارية عند اليمين . وهدف هذه الحملات المنظمة ، او التي تسعى القوى المضادة للاستفادة منظمة منها ، هو ان تنعزل الثورة عن القوى القومية ، وعن قوى اليسار ، وان تغلق في وجهها بلدان اليمين . ولكن في سبيل ماذا تفعل الحركة القومية وقوى اليسار الثوري هذا كله ؟ في سبيل ان تنتصر الحركة القومية العربية غير الموجودة الان ، و « اليسار الثوري » الذي يحلم به بعض المثقفين الطوباويين ؟

ونحن بالطبع مع الحركة القومية ومع اليسار الثوري ، ولكن الحركة القومية واليسار الثوري لا ينتصران بمثل هذا « التوجه

---

(١) لينين : مرض الطفولة اليساري .

العشوائي » ، بل يمهدان سبيل الانتصار للقوى المضادة .

وبالطبع فان الدكتور عصمت سيف الدولة لم يعرف ماذا كان تعليق كثيرين من الذين سمعوه محاضرا ومناقشا في الاردن. ولكن رأيهم لا بد ان يسمع . قال بعضهم : لماذا لا تكون رحلة عصمت سيف الدولة منظمة ، ولماذا لا يكون هدفها طعن الثورة في الصميم، في استراتيجيتها ، ما دامت القوى المضادة قد عجزت عن استغلال اخطائها الصغيرة لضربها . وقال بعضهم الا تستفيد القوى المضادة من مثل هذا الطرح ؟ ان التشكيك باستراتيجية الثورة وبامكانية انتصارها ، ما دامت لم تصبح ثورة قومية بعد ، عمل لا يصحح استراتيجية الثورة ، ولا يساعدها على الانتصار .

ان الذين طرحوا القضية هذا الطرح ، لا يعرفون الدكتور عصمت سيف الدولة ، ولا يعرفون مدى اخلاصه ووطنيته وايمانه بالوحدة العربية ، ولكن اسلوب الطرح دفعهم الى مثل هذا الاستنتاج .

ولقد ذكرني موضوع عصمت سيف الدولة بموضوع الندوة التي عقدها منح الصلح في بيروت في ٢٨ آذار سنة ١٩٦٩ ، والتي ركز فيها على موضوع الكيانية في العمل الفلسطيني (١) . في هذا الوقت بالذات هب منح الصلح فجأة ، وفي اندفاع غريب ، ليهاجم ظاهرة خطرة في العمل الفلسطيني ، هي « الكيانية » . مع ان مشكلة الثورة آنذاك لم تكن الكيانية ، بل كانت المؤامرة الرهيبة التي تدبر لها في لبنان . كان هذا واضحا ، ومع ذلك هب « صديق الثورة الفلسطينية » منح الصلح، ليشير الى الخطر الكبير المحدق. وبينما كانت زمر المثقفين تناقش موضوع الكيانية كانت السلطة في لبنان تعد لايام ٢٠ ــ ١٩٦٩/٤/٢٥ الرهيبة .

وعندما قرات محاضرة منح الصلح حينذاك ادركت الى اي حد يجهل مثقفونا جدل السياسة ، والى اي حد يقعون في الشرك .

---

(١) الانوار ، ملحق خاص ، ٣٠ اذار ١٩٦٩ .

ولقد قلت لمنح عندما قابلته : انت اخطأت في ثلاث :

الاولى : انك اعتبرت الكيانية مشكلة اساسية من مشاكل الثورة الفلسطينية ، مع انها ليست كذلك .

الثانية : انك اخترت هذا الوقت بالذات لطرح الموضوع متجاهلا ما يمكن ان يترتب على طرحه .

الثالثة : انك نسيت المؤامرة التي تحيق بالثورة الفلسطينية ، ولم تكلف نفسك عناء فضحها ، والتركيز على ضرورة محاربتها .

ولقد وقعت المجزرة في لبنان ، بعد اقل من شهر من تاريخ القاء المحاضرة . فماذا قال منح في شجبها واستنكارها بل في مقاومتها ؟ سؤال نتركه للاستاذ منح ، ونطرحه في الوقت ذاته على الدكتور عصمت سيف الدولة الذي جاءنا بعد الانتصار على مؤامرة شباط في الاردن ، ليقول لنا ما قاله من قبل ، وليركز سهامه الى اقليمية الثورة الفلسطينية ، بدلا من ان يركزها على هدف اجدر بالمهاجمة : هو المؤامرة الكبيرة .

وعلى المثقفين العرب ، اذا ارادوا ان يحققوا العمق القومي لهذه الثورة ان يفعلوا ما يلي :

اولا : ان يساهموا في خلق التنظيمات والجبهات المقاتلة في اقطارهم ، لكي يجسدوا البعد القومي للثورة الفلسطينية ، ولكي يحرموا الاقليميات المريضة من ان تتحكم بمصير الثورة .

ثانيا : ان ينظموا حاليا عملية مساندة حقيقية للثورة ، وعملية حماية لها ، تضمن للثورة فرصة النمو والاستمرار والتقدم .

ثالثا : ان يعملوا على كشف حملات المزايدة والتضليل والمناورة ، السياسية منها والايديولوجية .

رابعا : ان يقاتلوا مع المقاتلين ، وان يخوضوا غمار هذه الحرب الشرسة .

ان الساحة الفلسطينية هي ميدان التفجر الرئيسي في الوطن العربي ، ومن هذه الساحة انطلقت الشرارة . انها اليوم تمتد عبر الاردن وسورية ولبنان وج.ع.م. لقد بدأت مسيرتها الطويلة .

ومهمة الوطنيين المخلصين ان يمهدوا الطريق ، وان يشاركوا في المسيرة ، وان يوسعوا الثورة افقا وان يوسعوها عمقا .

وهم ، يخطئون ويضرون وينحرفون ، حين يجعلون الهجوم على « اقليمية » الثورة قضيتهم ، بينما لا يتحدثون الا لماما ، او لا يتحدثون اطلاقا عن « الاقليميات المريضة » التي تقف عثرة في سبيل تقدم الثورة ، والتي تمثل مصالح ومطامح معادية لحركة التحرر العربية .

الابعاد الطبقية
للثـــورة الفلسطينيـــة

ما هي الابعاد الطبقية لحركة التحرر الوطني في فلسطين؟

سؤال لا بد من الاجابة عليه ، لان الاجابة عليه تحقق غايتين:

اولاهما : معرفة الطبقات ذات المصلحة الحقيقية في الثورة، ومعرفة قدرة كل منها على المساهمة فيها ، والدور الذي تستطيع ان تلعبه في مرحلة تاريخية معينة . وهذا يجعلنا قادريـن علـى تحديد الاستراتيجية المرحلية للثورة : استراتيجية مرحلة حركـة التحرر الوطني .

ثانيهما : كشف الدعاوة الهادفة الى تشويه حركـة التحريـر الوطني الفلسطيني ، على اساس انها حركة يمينية ، او على اساس انها حركـة متخلفـة ، لانها ليست بقيادة البروليتاريا ، ولا تتبنـى ايديولوجية البروليتاريا .

واذا كانت حركات التحرر الوطني في كثير من بلدان العالم، في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، تبدو حركـــات البرجوازيـة الوطنية ضد المحتل الاجنبي ، فـان وضع حركـات

التحرر الوطني في هذه الايام يختلف كليا .

ومع ذلك فان حركات التحرر الوطني ، في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، لم تكن حركات البرجوازية الوطنية فحسب . كانت البرجوازية الوطنية تقودها ، ولكن هذه الحركات كانت حركات الجماهير كلها : الطبقات الكادحة والبرجوازية الصغيرة .

اما اليوم فان الوضع مختلف تماما . البرجوازية الوطنية ليست طبقة قائدة ، والبرجوازية الصغيرة ، الملعونة ماركسيا ـ لينينيا ، تحقق مهمات البرجوازية الوطنية ، وتقود النضال في سبيل تحقيق مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية .

وهنالك عاملان يحددان الابعاد الطبقية لحركة التحرر الوطني في بلادنا ، وفي كل البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة . وهذان العاملان هما :

ا ـ سيطرة الامبريالية على الدول والشعوب المتخلفة، مباشرة او بشكل غير مباشر . وهذا يجعل جماهير بكاملها فقيرةومضطهدة، تقع تحت نير امم غنية ودول مسيطرة .

ان هذا البعد الطبقي يجعل القضية الوطنية هي القضية الاساسية ، ويوحد عدة طبقات في النضال ضد الاستغلال والاضطهاد والاحتلال ما دام العدو اجنبيا .

ب ـ احتلال البرجوازية الصغيرة والفلاحين والعمال مكان الصدارة في حركة التحرر الوطنية ، فطبقة الاقطاع وشبه الاقطاع والكمبرادور والبرجوازية الوطنية لا تستطيع ان تلعب دورا طليعيا في محاربة العدو الاجنبي، كما حدث في اوروبا القرن التاسع عشر ، او حتى في اوروبا القرن العشرين . لماذا ؟ لان هذهالطبقات في اكثر البلدان المتخلفة طبقات طفيلية وهزيلة ، لا تلعب دورا اقتصاديا طليعيا ،وبالتالي فهي تلعب دورا سياسيا معرقلا وكابحا نمو القوى الطليعية في المجتمع .

لقد حدث هذا في الصين وكوريا وفيتنام وكوبا ، وحتى

الجزائر . الطبقات الطليعية صعدت ، قبل الاوان ، والطبقات المتخلفة والمعرقلة سقطت ، خلال الصدام مع الاستعمار .

ولم تكن هذه الحقيقة خافية على ماركس (١) ، ولاعلى لينين قبل ثورة الصين وفيتنام والجزائر وكوبا . وجاء ماوتسي تونغ ليؤكدها بالممارسة .

الثانية : ان كل ثورة تتداخل فيها مصالح طبقية مختلفة ، وعوامل داخلية وخارجية ، ولذلك فليس هنالك ثورة اجتماعية خالصة او ثورة طبقية خالصة . وليس هنالك ثورة طبقة واحدة. هذا ما تثبته وقائع التاريخ ، وهذا ما يؤكده لينين ، فهو يرى « ان من ينتظر ثورة اجتماعية خالصة سوف لن يراها ابدا ». وذلك الذي ينتظر ثورة اجتماعية خالصة (« ثوري في الكلام لا يفهم ما هي « الثورة الاجتماعية ») (٢) .

الثالثة : ان هنالك في مرحلة تاريخية معينة اكثر من طبقة ثورية ، وان كانت البروليتاريا هي الطبقة الثورية حتى النهاية، « فالسلطة المضطهدة تحرك ضد نفسها الشعب بكامله ، بما فيه البروليتاريا ، الطبقة الوحيدة الثورية حتى النهاية ، ولكنها ليست القوة الاجتماعية الثورية الوحيدة » (٣) .

نؤكد هذه البديهيات الماركسية ، لان هنالك من حاول ان يطرح القضية على ان هنالك تناقضا بين القومي والطبقي، الوطني والاشتراكي . ونؤكدها لان هنالك من حاول ان يقنعنا بأن هنالك طبقة ثورية واحدة هي البروليتاريا ، معلنا سقوط كل الطبقات ــ الان وليس في المستقبل البعيد ، بما فيه البرجوازية الصغيرة . ونؤكدها لان هنالك من طرح حزب الطبقة مقابل

---

(١) هنري لوفيفر : فكر لينين : ترجمة كمال غالي واديب اللجمي ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ــ دمشق ١٩٦٩، ص ١٧ .

(٢) لينين : حركة التحرر الوطني في الشرق ، طبع موسكو .

(٣) هنري لوفيفر : المرجع السابق ، ص ٦٣ .

الجبهة الوطنية والوحدة الوطنية .

ونؤكدها لاننا نريد ان نؤكد ان الطبيعة الطبقية للثورة هي التي تحدد طابعها الوطني . ونؤكدها لاننا نريد ان نؤكد بأن حزب الطبقة ليس بديلا للجبهة الوطنية في هذه المرحلة . ونؤكدها لاننا نريد ان نؤكد بأن هنالك اكثر من طبقة ثورية في هذه المرحلة بالذات .

ولكن وعلى الرغم من ذلك ، فان هذه « الحركة الوطنية الثورية » كما اسماها لينين (١) ليست حركة اشتراكية . لماذا؟ لا لاننا نريد او لا نريد . بل لان هذا هو الواقع. ان حركة وطنية تواجه استعمارا عنصريا اسكانيا ، في عصر الامبريالية وفي بلاد متخلفة ، تابعة للاقتصاد الامبريالي في الاغلب ، ماذا تكون مهمتها الاساسية غير انهاء الاستعمار والتبعية ، والقضاء على مخلفات القرون الوسطى ؟

ولقد تساءل الحزب الشيوعي الصيني سنة ١٩٣٩ :« وما هو في الحقيقة طابع الثورة الصينية في المرحلة الحالية ؟ أهي ثورة بورجوازية ديمقراطية ام ثورة بروليتارية اشتراكية ؟ وكان الجواب :« من الواضح انها ليست هذه الثورة الاخيرة ، انما هي ثورة بورجوازية ديمقراطية » (٢) .

ولكن لماذا هي ثورة وطنية ؟

لان الاستعمار هو العدو الرئيسي ، ما دام موجودا . وعلى الرغم من ان الثورة الصينية كانت تواجه عدوين هما « الاستعمار وطبقة الملاكين العقاريين الاقطاعية » ، فقد كانت « المهمة الاولية والرئيسية هي الثورة الوطنية من اجل قلب

---

(١) لينين : المختارات : المجلد ٣ ، الجزء الثاني دار التقدم، موسكو، ص ٣٠٢ .

(٢) ماوتسي تونغ : المؤلفات المختارة ، دار دمشق للطباعة والنشر ، المجلد الثاني ص ٤٣٨ .

الاستعمار » (١) .

الا ان هذه الثورة الوطنية مترابطة مع الثورة الديمقراطية : القضاء على الاستعمار مترابط مع القضاء على الاقطاعية . « وفي الحقيقة ان المهمتين الثوريتين مترابطتان سلفا ، ما دامت المهمة الرئيسية العاجلة للثورة الوطنية هي مقاومة الغزاة الاستعماريين اليابانيين ، وما دام اتمام الثورة الديمقراطية امرا واجبا في سبيل كسب الحرب . وانه لمن الخطأ ان نعتبر الثورة الوطنية والثورة الديمقراطية مرحلتين مختلفتين كليا من الثورة » (٢) . انهما « متمايزتان ومتحدتان » (٣) .

والوضع مماثل بالنسبة للثورة العربية ، وفي طليعتها الثورة الفلسطينية . ان عدويها الرئيسيين هما : الاستعمار ، وبقايا شبه الاقطاعية ومخلفات القرون الوسطى . ولكن المهمة الرئيسية بالنسبة لهذه الثورة مرحليا هي انهاء الاحتلال الصهيوني والسيطرة الاستعمارية . ومع انهائهما لا بد ان تسقط بقايا القرون الوسطى خلال المعركة .

ولكن هل يعني انها ثورة وطنية انها ثورة ليست اشتراكية ؟

انها ليست ثورة اشتراكية بالطبع . الا انها ليست منفصلة عن الاشتراكية « بسور صيني » كما يقول لينين (٤) . و « النضال وحده هو الذي سيقرر مقدار التقدم (في نهاية الامر) » (٥) .

وعلينا باستمرار ان ندرك هذه الحقيقة . لاننا ان لم ندرك هذه الحقيقة تحولنا من ماركسيين الى « رواقيين » .

واذا كان من حقنا ان نتمنى ، ومن واجبنا ان نعمل على

---

(١) ماوتسي تونغ : نفس المرجع ص ٤١٧ .

(٢) ماوتسي تونغ : نفس المرجع ص ٤١٧ ـ ٤١٨ .

(٣) ماوتسي تونغ : نفس المرجع ص ٤١٧ .

(٤) لينين : المختارات ، ص ٣٠٢ .

(٥) لينين : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

تحويل وطننا الى الاشتراكية ، فليس من حقنا ان نتجاهل ما يلي :

اولا : ان الواقع الموضوعي هو ليس مطابقا دائما لرغباتنا ولاحلامنا ، « ان اكبر غلطة خطرة للثوريين » هي ان يحلوا « رغبتهم وموقفهم السياسي والفكري محل الواقع الموضوعي » (١) .

ثانيا : ان وعي فئة محدودة من طبقة ، او فئة محدودة جدا من الجماهير ، ليس وعي الطبقة كلها ، ووضع الجماهير كلها ، وان «الثوري» الذي لا يأخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار ، ولا يهتم بها خلال ممارسة العمل الجماهيري لا يكون ثوريا على الاطلاق . « اذ ما لم تتغير آراء اكثرية الطبقة العاملة لا يمكن ان تقوم ثورة » (٢) كما يقول لينين ، وما لم تتغير آراء اكثرية الجماهير الكادحة والمظلومة لا يمكن ان تقوم ثورة وطنية . وان الدعاية والتحريض لا يحققان هذه الغاية ، وان ما يحقق هذه الغاية هو ان يكون للجماهير تجربتها السياسية الخاصة .

ثالثا : انه يستحيل بناء خطة ثورية على الروحية الثورية وحدها ، فيجب ان تقوم « الخطة على حساب دقيق وموضوعي صارم لجميع القوى الطبقية في الدولة (والدول المحيطة بها ، وجميع الدول في المجال العالمي) وكذلك على حساب من تجربة الحركات الثورية » (٣) .

رابعا : ان صبغ الحركة الوطنية الثورية « بالصبغة الشيوعية » خطأ فاحش ، يمثل طفولية يسارية رعناء ، وان هذا الخطأ الفاحش يجب ان نطالب بالنضال ضده كما طالب لينين بالنضال الحازم ضده (٤) .

---

(١) لينين : مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية ، دار التقدم ، موسكو ص ٥٦ .

(٢) لينين : المرجع السابق ص ٥٦ وص ٩٣ .

(٣) لينين : المرجع السابق ص ٦٤ .

(٤) لينين : المختارات ، مجلد ٣ ، جزء ٢ ، ص ١٢ .

انطلاقا من هذه الحقائق نجد انفسنا مضطرين للتأكيد على ان الثورة الفلسطينية ثورة وطنية قومية ، في وجه هؤلاء الذين يريدون ان يحولوها الى « معركة طبقية » بقدرة قادر ، وبجرة قلم ، لانهم تصوروا بأن العصر الامبريالي يلغي او ينهي مسائل العصر السابق ، وان هذه المسائل تصبح جزء من مسائل العصر الجديد ، تندمج بها وتتداخل معها . وعلى هذا الاساس فالعصر الامبريالي لا يلغي المسألة القومية ، ولا يحوّل الصراع الى صراع طبقي محض خالص على الصعيد العالمي .

ويرد الياس مرقص على دعاة هذا التيار متسائلا :« ترى أيراد منا ان نصدق ان اكثرية « البروليتاريا اليهودية » في الارض المحتلة هي معنا ضد « الامبريالية » ، وان اكثرية البرجوازيةالعربية (بل البرجوازية الصغيرة العربية) هي ضدنا مع « الامبريالية » (التي باتت لفظا) ؟! . حتى اذا تخلى آخر برجوازي عربي وآخر « بروقراطي عسكري يميني » عن فلسطين ، واذا أيد الكفاح ضد الامبريالية نصف العمال اليهود ، وانضم آخر « ثوري » « يساري » عربي الى الكفاح الفعلي ضد الامبريالية والصهيونية (بلا مزدوجات) ،حتى في هذه الحال فان معركة فلسطين ستكون معركة قومية اولا . واذا لم تكن معركة فلسطين قومية ، فيهذه الحال ، ليس هنالك في العالم الحاضر والماضي معركة قومية (ولكن هؤلاء « تجاوزوا » الحاضر الى المستقبل !) » (١) .

---

(١) الياس مرقص : الماركسية والمسألة القومية ، دار الطليعة بيروت ، ١٩٧٠ ص ٦٩ .

حركة التحـرر الوطني
وبناء حزب البروليتاريا

هل يتعارض التأكيد على ان الثورة الفلسطينية حركة تحرر وطني ، مع الدعوة لبناء حزب طبقي بروليتاري ، او مع العمل مـن اجل بناء هذا الحزب ، وهل يلغي ضرورة انشاء مثل هذا الحزب ؟

ما دامت ضرورة انشاء مثل هـذا الحزب نابعة من وجـود البروليتاريا ، ومن الدور التاريخي المكرس لها ، المرتبط بوجودها ونموها ، فان كون المرحلة تقتضي وجود حركة تحرر وطني لا يلغي هذه الضرورة . ولكـن كون المرحلـة مرحلة تحرر وطني يحيط هذه الضرورة بظروف خاصة . ولعل اهم هذه الظروف اثنان :

الاول : كون حركة التحرر الوطني دائما حركة اكثر مـن طبقة، وهذا يجعل التحالف الطبقي اساسيا، قادته البروليتاريا او غيرها. وفي جو التحالف الطبقي تكـون هنالـك برامج طبقيـة مختلفة ، ويكون هنـالك صراع الـى جانب التحالف . ولكـن كيف يكـون الصراع ؟ وكيف نستطيع ان نضمـن استمرار الجبهـة ونمو حزب

الطبقة الاكثر ثورية : البروليتاريا (١) ؟ هذه هي المسألة . فنمو حزب الطبقة الاكثر ثورية والاكثر جذرية مرتبط ، في مثل هذه الظروف ، بالمحافظة على تماسك الجبهة واستمرارها . لان من مصلحة الوطن كله ، ومن مصلحة البروليتاريا والكادحين خاصة، ان تستمر الجبهة وان تحقق اهدافها .

فعلى حزب الطبقة الاكثر ثورية ان يكون العامل الفعّال في الجبهة ، اذا كان موجودا ، وان ينمو من خلال العمل فيها ومعها ، من خلال اثبات جدارته وكفاءته ، وقدرته على تجسيد الخط الصحيح وتقديم المناضلين الاكفاء الشجعان ، ومن خلال التفاعل اليومي مع الجماهير ، وتطوير طاقاتها وخبراتها النضالية. واذا لم يكن موجودا ، وكانت هنالك نواة تسعى لخلقه وتكوينه، فعلى هذه النواة ان تنمو مع نمو العمل الوطني ، وان تثبت اخلاصها للجبهة اولا واساسا ، وقدرتها على تجسيد الخط الوطني الصحيح ، وعلى اتخاذ المواقف الاكثر ثورية ، لانها ان لم تستطع تحقيق هذه الغاية ، كانت اعجز من ان تقود النضال في مراحل اكثر صعوبة وتعقيدا .

وان اية جماعة لا تأخذ هذه الحقائق بعين الاعتبار ، لا بد من ان تقود نفسها الى التهلكة ، اما من خلال دخول معركة مبكرة بقوى هزيلة جدا ، او من خلال تكوين تجمعات صغيرة تظل امكانيات نموها محدودة ، لانها ولدت قبل الاوان ، ولانها لم توضع في الجو الملائم لنموها .

الثاني : كون معركة التحرر الوطني ، معركة مع عدو اجنبي اساسا ، ومع عدو محلي احيانا ، او مع الاثنين معا في احيان اخرى . ولكن بما ان الصراع الاساسي مع العدو الاجنبي ، يصبح

---

(١) موضوع البروليتاريا هنا يجب ان يفهم ضمن الواقع الجديد للعالم الثالث ولحركات التحرر الوطني ، وليس من خلال المفهوم الماركسي التقليدي .

التوجه الاساسي للجماهير ، هو التوجه نحو محاربة العدو الاجنبي . هنا تخف حدة الصراع الطبقي ، ويصبح همّ الطبقة الاكثر ثورية والاكثر جذرية ان تؤلف قلوب بعض اعدائها ، وان تحيد بعضهم ، مؤجلة شعار اسقاطهم ، ومؤجلة طرح برامجها الاكثر جذرية . وهذا الوضع بالذات يجعل المعركة مختلفة عما لو كانت البروليتاريا تواجه عدوها الطبقي مباشرة ، ودون ان تكون بحاجة للتحالف معه او لتحييده . وهذا يعني :

أ ـ ان البرنامج الطبقي البروليتاري ، يجب ان يختلف في مرحلة التحرر الوطني عنه في مراحل اخرى .

ب ـ ان العمل السياسي والدعاوي لحزب البروليتاريا، يجب ان يختلف في مرحلة التحرر الوطني عنه في المراحل الاخرى .

والحركة او الحزب او الفئة التي لا تهتم بهاتين الحقيقتين: لا يجوز ان تسمى ماركسية ، وهي أبعد ما تكون عن تجسيدالخط الثوري في العمل السياسي ، لانها تتجاهل بدهيات .

ولكن هل يستطيع حزب البروليتاريا ان ينمو ضمن حركة وطنية ثورية ، تقودها البرجوازية الوطنية مثلا ؟

انه يستطيع ، ولكنه لا بد متصادم مع قيادة الحركة الوطنية ، قبل تحقيق مهمات حركة التحرر الوطني ، او بعد ذلك. ولذلك فان من مهمة حزب البروليتاريا ان يعمل لتحقيق مهمات التحالف ، وان يستعد للصراع المقبل ، وعمله في ظل التحالف لا يضعفه ولا يضر به ، الا اذا كان حزبا غير جدير بالحياة .

فاذا كانت القيادة بيد البرجوازية الصغيرة ، كانتامكانيات النمو والتقدم اكبر ، لان البرجوازية الصغيرة في البلدان المتخلفة ليست على تناقض حاسم مع البروليتاريا والكادحين ، في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، ولان تكوين البرجوازية الصغيرة في بلادنا يجعل من مصلحة اغلبيتها ان تصف مع البروليتاريا والكادحين . وهذا لا ينفي امكانيات الصدام بين البروليتاريا وبعض شرائح البرجوازية الصغيرة ، اذ ان مثل هذه الصدامات ممكنة

ومحتملة الوقوع ، ولكن مثل هذه الصدامات اقل احتمالا واخف حدة من الصدام بين البروليتاريا والطبقات الاخرى .

وهنالك احتمال بأن تتحول « الحركة الوطنية الثورية »الى حركة البروليتاريا والكادحين ، كما حدث في كوبا ، ولكنه احتمال من احتمالات ، لا يمكن ان يتحقق الا في الحالات التالية:

اولا : عندما تكون المعركة مع الامبريالية شديدة ، وتكون الطبقة القائدة في حاجة لاتخاذ مواقف اكثر حزما وجذرية ،كما حدث في كوبا .

ثانيا : عندما تكون الفئة القائدة من البرجوازية الصغيرة طلائعية وواعية ومؤمنة بشعبها وملتحمة مع جماهيرها .

ثالثا : عندما تكون جماهير الشعب مستعدة للتجاوب وللنضال .

رابعا : عندما تكون الطبقات المعادية غير قادرة على الانتصار في العمل المضاد ، اما لانها منهارة ، او لان « الحركة الوطنية الثورية » ممتاسكة وقوية ، او للسببين معا .

وهنالك ثلاثة اشكالات تواجه نشوء حزب البروليتاريا في البلدان المتخلفة :

اولها : انه حزب طبقة جنينية ، لم توجد بعد ، او هي في سبيل التكون ، وان مادته الاساسية ستكون من الجماهير شبه البروليتارية ، ومن البرجوازية الصغيرة الرثة ، والمثقفين الثوريين .

ثانيها : انه يولد وينمو خلال الصراع ضد الاستعمار الاجنبي او الاقطاع والكمبرادور ، او هي جميعا . وهذا يجعل مهماته الاساسية هي مهمات حركة التحرر الوطني .

ثالثها : انه مطالب اولا واساسا بتحقيق مهمات طبقات غير طبقته،وهو ما يمكن ان يسمى الثورة الوطنية الديمقراطية ، وما اسمته الماركسية التقليدية الثورة البرجوازية الديمقراطية . واسماه ماو : الديمقراطية الجديدة ، ولي ذوان : الديمقراطية

الشعبيـــة .

وحزب البروليتاريا الناشىء ، اذ يواجه هـذه الاشكالات ، يـواجه مهمات اكثر تعقيدا ، لانه ينشأ وينمو في ظل ظروف غير عادية ، ولان نشوءه ونموه في مثل هذه الظروف ، يجعل مشاكـل التنظيم والقيادة والنمو اعسر وادق واخطر .

ومع هذا يظل نشوء حزب البروليتاريا ضرورة تاريخية. ولكن هذه الضرورة التاريخيـة لا بد ان تنمو ضمـن المرحلة التاريخيـة التي تجتازها الامة لا خارجهـا ، وعليها ان تنبثق من صلب المرحلة الراهنـة ، ومن مشاكل المرحلة الراهنة ، لا مـن مشاكل طبقـة موجودة في ذهـن نفر من المثقفين ، او موجودة في شعارات ماركس وانجلـز ولينيـن .

وتظل هذه الحقيقة هي المقياس في التفريـق بين النشوء الطبيعي لحركة البروليتاريا ، وبيـن النشوء المفتعـل والمصطنـع لحزب بروليتاريـا المثقفين البرجوازيين الصغار . فالمثقفـون البرجوازيـون الصغار ، وهم كثر في بلادنا في هذه الايام، قادرون على تكويـن احزاب من هذا القبيل . احزاب من الجمل الطنانـة والكلمـات الرنانة ، تنـمو على الورق فتصبح اكبر من الطبقـات التي تمثلهـا ، وتشـن معارك « وهمية » على كل الطبقات الاخرى من الاقطاع الى البرجوازيـة الصغيرة ، معلنة ميلادهـا وسقوط الجميـع .

ومثل هذه الاحزاب بالطبع ليست احزابا بروليتارية ، انهـا احزاب البرجوازيـة الصغيرة ، وفقاعاتها الاكثر انتفاخا والاكثر لمعانا ، ولكنهـا الاكثر قابليـة للانفجار ، والاكثر مدعاة لخيبة الامل في الوقت ذاته . ولقد عرف تاريخ البروليتاريا العديد من مثل هذه الاحزاب ، وكانت يساريـة شعاراتهـا تعكس دائمـا انتهازيـة مواقفهـا .

وهنالك حقيقة اخيرة لا بد من ايضاحها . هذه الحقيقة هـي انني لا اقول بحتميـة نـمو حزب البروليتاريا ضمن تنظيم الحركة

الوطنية ، ولا اقول بحتمية نموه خارجها . فالحياة اغنى دائما من كل النظريات . واذا كانت بعض التجارب قد اثبتت الموضوعة الاولى ، فان تجربة كوبا اثبتت الموضوعة الثانية .

وعلى كل حال ، فان ما يحدد هذا ، هو مجموعة من العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

واذا كان ماركس وانجلز ولينين قد اصروا على ضرورة نشوء حزب البروليتاريا خارج الحركة الوطنية تنظيميا ، فذلك نتيجة ما يلي :

اولا : لان الحركة الوطنية آنذاك كانت حركة برجوازية ، ولان البرجوازية القائدة كانت طبقة مستغلة ، طامحة في الاسواق الخارجية ، تسعى الى تحويل الطبقات المسحوقة نحو المستعمرات ، وذلك من اجل امتصاص نقمتها في حروب الاستعمار ، ومن اجل حل بعض مشاكلها ، بما تدره المستعمرات من خيرات ، وما تحتاجه من جنود وشرطة وموظفين ونهابين .

ثانيا : لان المعركة كانت معركة البروليتاريا مع البرجوازية ، فكيف ينمو حزب البروليتاريا تحت قيادة الطبقة العدوة اساسا؟ ان هذا مستحيل لان البرجوازية تفرز البروليتاريا ، ولكنها لا يمكن ان ترضى بنمو حزب البروليتاريا تحت قيادتها .

ولما كانت ظروف البلدان المتخلفة اليوم تختلف عن ظروف اوروبا القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، وكانت « الحركة الوطنية الثورية » اكثر تقدما ، مما كانت عليه في عهد لينين ، لان البرجوازية الصغيرة هي التي تقودها ، لا البرجوازية الصناعية او الكمبرادور ، فان امكانية انبثاق حركة البروليتاريا والكادحين من صلب الحركة « الوطنية الثورية » اصبح اكثر ورودا .

ولما كانت مهمات التحرر الوطني من مهمات البروليتاريا والكادحين ، وكانت « الحركة الوطنية الثورية » هي المصنع الذي

سيخلق جماهير الطبقة العاملة وينظمها ، ويرفع مستوى وعيها الوطني والطبقي ، فان اندماج العناصر الطلائعية من البروليتاريا والمثقفين الثوريين في حركة التحرر الوطني ، يساعد هذه الحركة على التطور والنمو ، ولا يضر بالطبقة العاملةوالكادحين. ذلك ان انفصال هذه العناصر الطلائعية وانعزالها سيحد من اثرها في الحركة الوطنية ، وسيقودها الى الفصل بين قضايا الطبقة وقضايا الجماهير ، والى مواجهة مهمات حركة التحرر الوطني ببرنامج طبقي طوباوي ، وبمزايدات وطنية وطبقية .

واذا كان ليس مضمونا ان تظل العناصر القائدة من البرجوازية الصغيرة راضية عن عملية التطور هذه ، فان من واجب البروليتاريا خاصة ، والكادحين عامة ، ان يفضحوا كل محاولة تقوم بها العناصر المتخلفة من البرجوازية الصغيرة ، في سبيل كبح جماح تطور « الحركة الوطنية الثورية » وتقدمها الى الامام .

واذا كنا نتحدث عن عملية التحول هذه ، فلا يجوز ان يفهم انها عملية تطور عفوية . انها ليست عفوية على الاطلاق ، واذا كانت الظروف الموضوعية تفعل فعلها فيها ، فان العوامل الذاتية المتمثلة في العمل المتواصل والممارسة الدائبة ، والتكرس الكامل والوعي الشامل لقضايا الجماهير الكادحة ليست اقل اثرا .

ان على الذين يعملون من اجل بناء حزب البروليتاريا ، الا يتجاوزوا الحاضر الى المستقبل ، ولكن عليهم الا ينسوا المستقبل.

الثورة الفلسطينية
وقضاياها الأساسية
المدخـــل

استطاعت الثورة الفلسطينية ان تحقق خـلال السنـوات الماضية نجاحات كبرى . واهم هذه النجاحات ثلاثة :

الاول : نقل القضية من ايدي « الاوصياء » الى ايـــدي الجماهير ، بعد ان ظلت في ايدي الاوصياء حوالي عشريـن عاما ، وبعـد ان حوّلها الاوصياء الى « مزايدات كلاميـة » ممجوجة .

الثاني : تحويل العمل السياسي من عمل مثقفين ثرثاريـن وسياسيين محترفين وحزبيين قاصريـن الى عمل مسلح . واذا كان شعار الجماهير ان « الكف لا تجابه المخرز » ، فقد كـان الجواب : « لنجابه المخرز بالمخرز » . وكـان هذا التحول تحولا جذريا ، على الرغم من انه لم يكـن تحوّلا ايديولوجيا جذريا .

الثالث : خلق المناخ الثوري لدى الجماهير التي عانت الكثير

من الهزائم حتى كادت ان تفقد الامل . وقد ساعد هـذا المنـاخ الثوري على زعزعة انظمة مغرقة في عدائها للجماهير ، وعلى كبح جماح القوى المضادة للثورة في بلادنا العربية . وكان من نتيجة هذا كلـه :

أ ـ تراجع مشاريع الحلول الاستسلامية وتوافر القوى القادرة على احباطهـا .

ب ـ انهاء كثير من القيود والعقبات التي كانت تحد من امكانيات نمو القوى الثورية . ولعل مـا يحدث في الاردن وفـي لبنـان الان خير دليل على هذا .

ومع هذا ، فـان هنالـك قضايا استراتيجية اساسية مـا زالت الثورة تواجهها ،وما زالت مطالبة بمناقشتها وتحديد مواقف منهـا . أهم هذه القضايا :

١ ـ قضية انتهاج خط سياسي سليم .

٢ ـ قضية الجبهة الوطنية .. الوحدة الوطنية .

٣ ـ قضية العلاقات مع الجماهير العربية .

ولسوف نتعرض لكل منها ، فيما يلي :

انتهاج خط سياسي سليم

ان انتهاج خط سياسي سليم هـو الضمانة الاولى والاخيرة لانتصار ايـة ثورة . وهـو لا يضمن النصر النهائي فحسب ، بل يضمـن الانتصار في كل المعارك ، الكبيرة والصغيرة ، ويحـول دون النكسات والهزائم ، ويخفف من اثارهـا ان وقعت . ولذلك لا بد لنـا ان نحدد ما الذي نعنيه بانتهاج خط سياسي سليم .لاننا ان لـم نحدد ظللنا عرضة للتخبط او التهور او الجمود . وهذه من اخطـر مـا تواجهه ثورة من الثورات .

فما الذي نعنيه اذن بانتهاج خط سياسي سليم ؟

اننا نعنـي :

اولا : تحديد القضية تحديدا واضحا ،لا لبس فيه ولا ابهام، لان وضوح القضية ، لا يساعد على تعبئة القوى فحسب ، بل يمنع الضياع والالتباس ، ويحول دون هدر الجهود في معـارك جانبية .

ثانيا : تحديد القوى القادرة على القتال من اجل القضيـة ، وتحديد دور كل قوة من هذه القوى ، وطبيعة العلاقات بينهـا في مرحلة تاريخيـة معينة .

ثالثا : تحديد خطة العمل من اجل القضية . وهذا يتضمن :

ا ـ برنامج العمل السياسي : تنظيم الجماهير وتعبئتها وتطوير خبراتها السياسية وممارساتها النضالية .

ب ـ برنامج العمل العسكري : تدريب الجماهير وتسليحها وتطوير خبراتها القتالية .

رابعا : تحديد العدو وهذا يتطلب :

ا ـ تحديد تكوينه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وتحديد تناقضاته الراهنة والمحتملة .

ب ـ تحديد تكوينه العسكري وقوته العسكرية وتحديد امكانياته في هذا المجال ، ونقاط قوته وضعفه .

خامسا : تحديد الظروف الدولية المحيطة بالقضية ، وهذا يعني :

أ ـ تحديد القوى التي تساندنا في الوقت الراهن ، والقوى التي من المتوقع ان تساندنا مستقبلا .

ب ـ تحديد القوى التي تساند العدو حاليا ، والقوى التي من المتوقع ان تساند العدو مستقبلا .

ولكن كيف تتم عملية « التحديد » هذه ؟

انها تتم من خلال ما يلي :

اولا ـ دراسة الظروف الواقعية المحيطة بالقضية ،والقوى المتصارعة داخليا وخارجيا ، والعلاقات بين هذه القوى .

ثانيا ـ دراسة عمليات التحول والتطور التي تتم ، اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، داخليا وخارجيا ، ودراسة اثرها على عملنا وعمل العدو ، ووضعها في الاعتبار عند تقرير خطة او تحديد موقف .

ولكي يكون الخط السياسي سليما ، لا بد من ان ينطلق مما يلي :

اولا ـ ان الجماهير صاحبة القضية، طبقة او مجموعة طبقات متحالفة ، هي القادرة وحدها على النضال ، وهي القادرة وحدها على تحقيق النصر ، وانه ليس هنالك من قوة مهما كانت تستطيع

ان تنـوب عن الجماهير في النضـال من اجل قضيتها . وهـذا يستلـزم :

أ ـ ان تكون الحركة السياسيةالقائدة هي طليعـة الجماهير وليس سيدتها ،الملتحمة معهـا والمعبرة عـن ارادتهـا ، وليس المتعاليـة عليهـا ، المعبرة عـن ارادة نخبة مـن القياديين .

ب ـ ان يكون العمل العسكري بعض ممارسات الجماهير ، وان يكـون خاضعـا للخط السياسي الجماهيري ، ومعبرا عنه .

ثانيا : ان الحرب الشعبية ، حرب الجماهير المناضلة المقاتلة، هي الطريق الوحيد للخلاص ، وان سلوك هذا السبيل تفرضـه ضرورات موضوعية،اهمها كوننا شعبا اعزل متخلفا مضطهدا لا يملك جيشا نظاميا، ولا امكانيات لبناء جيش حديث ، ومع ذلـك فاننـا نواجه عدوا منظمـا ومسلحا ومتفوقا ، وعلى الرغم من ذلـك فاننا قادرون على الانتصار بانتهاج سبيل الحرب الشعبية .

ثالثا ـ ان الحرب الشعبية التي تضمـن الانتصار ، هـي الحرب الشعبية التي تضمن ما يلي :

أ ـ ان يكون النضال عامة ، والقتال خاصة ، عمل الجماهير الواعيـة قضيتها ، المصممة على التحرير والخلاص .

ب ـ ان تكون الجماهير ، كلها معبأة ، وان تكون مسلحة . وهذا يستلزم خلق المنظمات الجماهيرية ، وتعميم التدريب ،وتوفير السلاح ، وانشاء الميلشيا الشعبية والجيش الشعبي .

جـ ـ مواجهة تفوق العدو عسكريـا وتكنولوجيا ، بتفـوق سياسي يقوم على ما يلي :

١ ـ وعي الطلائع القائدة والجماهير .

٢ ـ الشعور بعدالة القضية،وتعميق الشعور بالظلم والاضطهاد في نفوس كوادرنا وعناصرنا وجماهيرنا .

٣ ـ تحقيق وحدة جماهير شعبنا ، ببناء جبهة وطنيـة متماسكة ، وبخلق تلاحم جماهيري : تلاحم مـع المقاتلين ، وتلاحم مع الحركـة السياسية القائدة ، وتحالف وثيق بين الحركـات

السياسيـــة المختلفـــة والطبقات المختلفة .

وبهذا نستطيع ان « نستخدم الضعيف لمحاربة القوي، ولهزيمة اكثر الاسلحة حداثة بالروحية الثورية » ، كمـــا يقول الجنـــرال جيـــاب (١) .

رابعا ــ ان حركة التحرر الوطني ، هي حركة الجماهيـــــر المقاتلة ضد الاحتلال الاجنبي . وهي تقوم اساسا على تحالف طبقي يمثل العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة وشرائح وافرادا من طبقات اخرى . واذا كان التحرر الوطني يستلزم تعبئـــة الجماهير عامة ، فانه يستلزم تعبئة اكثر الفئات اضطهادا من جهة ، ويستلزم تعبئة الفلاحين من جهة اخرى .

خامسا : ان مهمـــات حركة التحرر الوطني ، فـــي مرحلـــة القتال ضد العدو الاجنبي ، هي مهمـــات الثـــورة الوطنيـــــة الديمقراطيـــة . وتتلخص هذه المهمات فيمـــا يلي : القضاء علـــى الاحتلال الاجنبـــي . اسقاط الفئات المتعاونـــة معه ، انهاء مخلفات القرون الوسطى حيث وجدت ، التهيئة لخلـــــق نظام وطنـــي ديمقراطـــي ثوري .

سادسا : ان قيادة حركة التحرر الوطني تستلزم ما يلي :

أ ــ معرفة موازيـــن القوى بين الطبقـــات المتصارعـــة او المتحالفـــة او المتصارعـــة المتحالفة . وتحديد دور كل طبقـــة فـــي التحـــالف .

ب ــ وضع برنامج سياسي ، معبر عـــن مصالح الطبقـــات المتحالفـــة ، ولكنه يضمـــن في الوقت ذاته مصلحة الطبقات الاكثر جذريـــة والاكثر تقدمـــا ، ويهيء هذه الطبقات للتقدم والتطور .

جـ ــ التزام خط استراتيجي وتكتيكي ، يضمـــن تقدم الثورة

---

(1) Giap , Vo Nguyen : The Political and Military Line of our Party, Vietnamese Studies , Number 9 , Page: (123 - 125) .

باستمرار ، مجنبا اياهـا :

١ ـ الانجرار الى معارك جانبية ، تستنفد القوى ، ولا تؤدي الى نتائج .

٢ ـ الانجرار الى « مغامرات » ، بسبب الاستخفاف بقـوى العدو ، او بسبب تقدير قوانا فوق قدرهـا ، او بسبب الارتجـال وعدم تقدير المسؤوليـة ، تقـود الثورة الى الهزائم والانتكاسات .

٣ ـ الاستخفاف بدور طبقة من الطبقات ، عندمـا يكـون التحالف معهـا ضروريـا ، او عندمـا تكون تلعب دورا بارزا فـي النضال ، وتقدير الدور الذي تلعبه طبقـة فوق قدره ، عندمـا تكون تلعب دورا ثانويا في النضال .

٤ ـ العزلة عن الجماهير ، بسبب عدم الالتزام بخط جماهيري واضح ، او بسبب تعالي بعض القيادات وعجرفتها ، او نتيجة عدم بذل الجهد الكافي للالتحام مع الجماهير ، بسبب الاطمئنان الـى تأييدهـا .

٥ ـ هيمنة بعض الافكار « العسكرية النظاميـة » التـي تلازم نشوء الثورات الشعبية وتطورها، لان سيطرة مثل هذه الافكار تلجم نمو العمـل الشعبي المسلـح ، وتحد مـن اندفـاع الجماهيـر ومبادرتها ، وتجعل العمل الشعبي المسلح هجينا مسخا ، لا هـو بالنظامي ولا هو بالثوري .

٦ ـ سيطرة بعض النزوات شبه الثورية التي لا تقـوم علـى دراسة الوقائع ، والتي تجعل قوى ناشئة وصغيـرة ، تعلن عـن استعدادها لمنازلة كل القوى مرة واحدة ، وفـي معـارك مواجهـة مكشوفة . ان هذه المشاعر الطفولية اليسارية خطرة وضارة، لانهـا تحول المعركة الى معركة شعارات ، ومعركـة بطـولات فرديـة او جماعية ، تستقطب الجماهير وتمزقها دون ان تحقق لها نصرا .

٧ ـ سيطرة بعض الاتجاهات المحافظة التـي تحـاول فرض استراتيجية مرحلة او فترة على مراحل اكثر تقدما ، والتي تعمـل على تخليد افكار واساليب واطر باتت تضيق عن استيعاب الحركة

الثورية ، واصبحت حجر عثرة في سبيل تقدمها وتطورها .

٨ ـ الخلط بين العدو الاساسي او الرئيسي والاعداء الثانويين .

٩ ـ الخلط بين قضايا الاستراتيجية والتكتيك ، فما هو اساسي يصبح عابرا ، وما هو عابر يصبح اساسيا . فاذا كانت الثورة تعتبر الحرب الشعبية خطا استراتيجيا اصبحت تكتيكا قابلا للتغيير والتبديل . واذا كان الامتناع عن التظاهر تكتيكا مرتبطا بظروف معينة ، اصبح هذا التكتيك استراتيجية .

١٠ ـ الجمود والثبات وضيق الافق ، التي تحول دون وعي الظروف المختلفة وتحليلها ، وتعجز عن الاحاطة بالتغيرات التي تحصل ، كمية كانت او كيفية . لان اي جمود او ثبات او ضيق افق ، سيقود الى اتخاذ مواقف غير منسجمة مع « الظروف الواقعية ، ومع تطورها المتوقع » ، وسيجر الى قرارات عليائية معزولة عن الوقائع .

١١ ـ النظرة الاحادية التي لا ترى من الامور غير جانب واحد ، والتي تحكم على القضايا من خلال رؤية جانبية . ومثل هذه النظرة القاصرة تقود الى قرارات قاصرة ومواقف عشوائية ، لان النظرة الجانبية او الرؤية الجانبية لا تكفي لاتخاذ موقف صحيح .

١٢ ـ النظرة السطحية التي تحكم على الامور بظواهرها ، ولا تعمل على التحقق من جدلها الداخلي ، ومثل هذه النظرة ايضا تقود الى مزالق ومخاطر لا حدود لها .

١٣ ـ النظرة الحدية التي لا ترى الا طرفي القضية ، فاما ابيض او اسود ، اما ليل او نهار ، اما ثورة او سكون الخ . ومثل هذه النظرة لا تأخذ بعين الاعتبار القوانين الاساسية للحياة والتطور والحركة . انها نظرة صبيانية وملولة ويائسة ، لانها تريد معجزة او لا تريد شيئا ، وتريد مقاتلا نموذجيا او لا تريد ، ولانها حين تطلب كل شيء مرة واحدة ، لا تستطيع ان تحقق شيئا .

والحديث عن الخط السياسي يتضمن الحديث عن الخط

التنظيمي السليم ، اضافة الى الخط العسكري. والخط التنظيمي، كالخط العسكري ، هو جزء من الخط السياسي ، غير منفصل عنه، ولا متمايز عليه . واذا كان انتهاج خط سياسي سليم يقتضي ان يخضع العمل العسكري للعمل السياسي ، فان انتهاج خط سياسي سليم يقتضي انتهاج خط تنظيمي سليم، وان يخضع العمل التنظيمي للعمل السياسي .

ولكي يكون العمل التنظيمي سليما لا بد من ان يخضع للاعتبارات التالية :

اولا : يجب ان تكون استراتيجية التنظيم هي استراتيجية العمل السياسي واهدافه ، لان غاية التنظيم الاساسية هي تحقيق اهداف الجماهير .

ثانيا : يجب ان يكون التنظيم جماهيريا ، بمعنى انه :

أ ـ منبثق من ارادة الجماهير ، ومن قواها الطليعية .

ب ـ ملتحم مع الجماهير ، معبر عن اهدافها وآمالها وآلامها ، عن خلجاتها وسكناتها .

جـ ـ قادر على استقطاب الجماهير وتعبئتها وقيادتها .

ثالثا : لكي يكون التنظيم جماهيريا، وقادرا على تعبئة الجماهير وقيادتها ، لا بد له من ان يخلق المنظمات الجماهيرية ، على اساس السن والجنس والمهنة الخ .

رابعا : يجب ان يخضع التنظيم لمبدأ المركزية الديمقراطية ، وان يكون موحدا على صعيد الفكر والتنظيم ، لكي يكون اداة ضاربة فعالة قادرة على مواجهة التحديات . وهذا يعني :

أ ـ ان تحارب النزعات التكتلية داخل التنظيم .

ب ـ ان تحارب سياسة خلق المتناقضات في داخل التنظيم الواحد ، من اجل تحقيق غايات شخصية ، او من اجل اضعاف التنظيم عامة بخلق تناقضات في داخله .

جـ ـ ان يجري العمل على خلق روح التزام وانضباط عالية.

د ـ ان يصفى التنظيم دائما من العناصر الضعيفة والمترددة

والمتخلفة والانتهازية .

هـ ــ ان يسود التنظيم روح العمل الجماعي والقيادة الجماعية .

خامسا : يجب ان يقوم التنظيم على اساس من الروح الثورية الخلاقة ، وان تسود هذه الروح كل العلاقات فيه . وهذا يتطلب:

أ ــ محاربة النفسية « الادارية » التي تجعل العلاقات في التنظيم علاقات ادارية وظيفية جامدة وخانعة .

ب ــ محاربة « الاستهتار » الذي يقود الى الفوضى والتسيب والارتباك والبلبلة .

ان انتهاج خط تنظيمي سليم . هو الذي يضمن خلق حركة سياسية قائدة ، قادرة على تعبئة الجماهير وقيادتها حتى النصر .

ولذلك فان انتهاج خط تنظيمي سليم قضية اساسية وهامة، لا يستطيع النضال السياسي والعسكري ان يتقدم خطوة دونها ولعل هذا العامل من العوامل الاساسية لفشل ثورة سنة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ في فلسطين .

وبما ان اي خط سياسي ينبثق عن وعي سياسي معين ، فان الوعي السياسي يظل العامل الاساسي في العمل السياسي، وخاصة في مجالي التنظيم والعمل العسكري . ولذلك فان كل محاولة للتقليل من دور الوعي السياسي او تجاهل هذا الدور ، انما هي محاولة تضرب العمل السياسي في رأسه ، ان لم تكن تضربه في دماغه . ولذلك ايضا ، فان تطوير الوعي السياسي وتعميقه ، يدفع العمل السياسي الى الامام ، ويجعله اكثر فعالية واكثر قدرة على تحقيق اهدافه .

واخطر الانحرافات عن الخط السياسي السليم اثنان :

الاول : الانحراف اليميني : وكثيرا ما يصيب هذا الانحراف الحركات السياسية عامة ، واكثر الحركات اتجاها نحو اليسار خاصة . وهنالك الكثير من الحركات الوطنية التي سيطر عليها الانحراف اليميني ، فسقطت وتحوّلت من حركة تقدم الى حركة تحجر . وهنالك الكثير من الحركات الماركسية والاحزاب الشيوعية

التي اصابها الانحراف اليميني ، فتحولت الى حركة هامشية في المجتمع ، بدلا من ان تكون حركة طلائعية ، او سحقها اليمين ، لانها خانت الطبقة التي تمثلها ، وتحولت الى حركة اصلاحية جبانة هزيلة .

فما الذي يعنيه الانحراف اليميني ؟

انه يعني :

١ ـ فقدان الروح الهجومية ، ذلك ان الحركة الثورية حركة مهاجمة ، حتى وهي في اشد حالات الضعف . وهي اذا فقدت روحها الهجومية تحولت الى حمل وديع في ساحة الصراع . وهنا لا بد ان ينقض عليها الخصوم ويفترسوها .

٢ ـ التخلي عن النضال في سبيل الاهداف الاساسية للحركة الوطنية ، او للطبقة العاملة والكادحين واتباع اساليب قاصرة وعاجزة . فاذا كان الهدف الاساسي للحركة الوطنية هو التحرير ، وتخلت حركة من الحركات عن النضال في سبيل هذا الهدف ، تكون قد خانت وتخاذلت ، وتكون في الوقت ذاته قد تحولت الى اليمين . واذا كانت مقاومة الاحتلال او مقاومة الطبقة الحاكمة تقتضي اللجوء الى الكفاح المسلح ، وتخاذلت حركة سياسية ، او لجأت الى المساومات والى اساليب سياسية غير ناجعة فقط ، تكون قد اصبحت حركة يمينية .

٣ ـ الحيلولة دون نمو الطبقة العاملة والكادحين داخل الحركة الوطنية ، باستخدام اساليب قمعية ، او بالتضليل السياسي ، المتستر وراء شعارات كاذبة . ذلك ان القيادة التي تحاول فرض سيطرتها الحديدية على الحركة الوطنية مانعة نمو القوى الطليعية ، لا بد ان تتحول الى قوة يمينية محافظة ، ومعادية لمصالح الوطن كله .

٤ ـ سيطرة الروح الفردية والعشائرية والتسلطية على التنظيم ، وروح العسكرية النظامية على العمل الشعبي المسلح ، لان سيطرة كهذه تفقد التنظيم ثوريته ، وتفقد العمل الشعبي

المسلح اصالته وميزاته الاساسية . واذا كانت الثورة تستلزم بناء تنظيم ثوري جماهيري ، فان اية محاولة لتحويل التنظيم الى واجهة ، او اية محاولة لافقاده ثوريته ، انما هي عمل يخدم القوى المضادة ، مهما كانت النيات التي تقف وراءه ، وهو عمل يجر الثورة الى اليمين ويقتلها .

٥ ــ فقدان الثقة بالجماهير ، وبطاقاتها وقدراتها، والاعتماد على قوى منظمة ، مهما كانت ، لا تحترم المبادرات الجماهيرية، ولا ترتبط بالجماهير بأية صلة . وهذه ظاهرة من اخطر الظواهر التي تواجهها الحركات السياسية ، لان الثقة بهذه الاجهزة ، تحل محل الثقة بالجماهير ، وتصبح بديلا عنها ، ولان هذه الاجهزة نتيجة عوامل ، ذاتية وموضوعية ، تصبح غير جماهيرية . ويؤدي فقدان الثقة بالجماهير الى التعالي عليها ، واساءة الظن بتحركاتها ، ومحاولة ضبطها بالاوامر الصارمة ، والتلويح بقوى الاجهزة احيانا الخ .

الثاني : الانحراف اليساري ، او مرض الطفولة اليساري، وهو لا يقل خطورة عن الانحراف اليميني (١) . وقد اوفاه لينين حقه في كتابه : « مرض الطفولة اليساري في الشيوعية » ، كما تحدث عنه ماوتسي تونج ومنظرون ماركسيون آخرون . وكما تصاب الحركات السياسية بالانحراف اليميني ، فانها معرضة لان تصاب بالانحراف اليساري .

فما الذي يعنيه الانحراف اليساري ؟

انه يعني :

١ ــ التلهي بالجمل الطنانة والكلمات الرنانة ، والاغراق في المبالغة والضجيج .

٢ ــ تجنب تحليل القوى السياسية ، وتحديد دور كل منها، وامكانيات تطورها ، واحلال الرغبات والموقف السياسي والفكري

---

(١) لينين : المختارات ، دار التقدم ، موسكو سنة ١٩٦٧ ،ص ٥٦٢ .

محل الواقع الموضوعي (١) .

٣ ــ اتخاذ مواقف مطلقة وحدية ، تتجاهل التناسب الحقيقي بين القوى المتصارعة ، وكأن العمل الثوري يقوم « على الروحية الثورية وحدها » ، مع انه يستحيل بناء تاكتيك ثوري كذلك ، لان التاكتيك الثوري يقوم « على حساب دقيق وموضوعي صارم لجميع القوى الطبقية في الدولة المعنية ، (والدول المحيطة بها ، وجميع الدول في المجال العالمي) ، وكذلك على حساب تجربة الحركات الثورية » ، كما يقول لينين .

٤ ــ تجاهل اهمية التحالفات السياسية والطبقية والحرص على « القتال بقوة معزولة » (٢) .

٥ ــ العجز عن التفريق بين التناقضات الاساسية والرئيسية والتناقضات الثانوية ، بين التناقضات الحالية والتناقضات المقبلة، واعتبار كل القوى الاخرى « اعداء ، وعليه فيجب ان يسقطوا في وقت معا » (٣) .

٦ ــ رفض المساومة ، ورفض سياسة التراجعات ، دون التفريق بين المساومات الضارة والمساومات المفيدة ، « المساومات التي تفرضها الظروف الموضوعية ومساومات الخونة » (٤) ، كما انهم لا يفرقون بين « التراجع الصحيح » والتراجع المشين . والاحاطة بعلم التراجع الصحيح ضرورية ، لانه لا يمكن ان يتحقق الانتصار بدون «تعلم علم الهجوم الصحيح والتراجع الصحيح» (٥).

٧ ــ رفض العمل في المؤسسات والنقابات الرجعية ، وخلق المنظمات الخاصة الثورية النقية .

---

(١) لينين : المختارات ، المرجع السابق ، ص ٥٠٩ .

(٢) تا ، شن بو : حول الحرب الاهلية العشرية (١٩٢٧ ــ ١٩٣٧) ص ٦٦ .

(٣) تا ، شن بو : المرجع السابق ، ص ٦١ ــ ٦٢ .

(٤) لينين : المرجع السابق ، ص ٥٢٠ .

(٥) لينين : المختارات ، ص ٤٧٤ .

٨ ــ اعتبار كل من يتبنى الماركسية مخلصا ووطنيا وتقدميا، وكل من لا يرفع لواءها يمينيا ورجعيا يجب ان يعــزل ، وان يفضح وان يكشف .

٩ ــ احتقار دور طبقة او طبقات ، والتشهير بهذه الطبقــة او الطبقات ، ومحاصرتهــا بالعداء والكراهية ، مع انهــا طبقــة او طبقات تلعب دورا وطنيــا وتقدميــا . ولعل خير مثل يضرب في هذا المجال موقف بعض الماركسيين من البرجوازية الصغيرة .

١٠ ــ المبالغــة في دور طبقــة من الطبقات ، او حركة من الحركات ، ومحاولة فرض سيطرتهــا وقيادتهــا في وقت هــي فيه قاصرة وعاجزة . وان محاولات فرض قيادة الطبقة العاملــة للجبهــة الوطنيــة الفلسطينية في هذه الايام هــو شــيء من هذا القبيــل .

١١ ــ تحكم العقلية الحزبية الضيقة بالعمل السياسي .

ان هاتين الظاهرتين من اخطــر الظواهر التي تصاب بهمــا الحركات الثورية، وهي لا تخرج بهــا عن الخط السياسي السليم فحسب ، بل تقودهــا الى العزلة والانتحار .

الجبهة الوطنية ...

الوحـــدة الوطنيـــة

ما زالت الثورة الفلسطينية تعاني من مشكلة تعدد المنظمات، وتعدد القيادات . وعلى الرغم من وحـدة الجماهيـر وراء الثـورة المسلحة ، فان تعدد المنظمات وتعدد القيادات يخلق عـددا مـن المشاكل الاساسية واهمها :

١ ـ تفتيت قوى الشعب الفلسطيني وتبذير طاقاته بتوزيعها على منظمات متعددة ، الكثير منهـا لا امكانيات لنموها ولتطورها .

٢ ـ اشاعة البلبلة والاضطراب فـــي صفوف الجماهير الفلسطينية خاصة والعربية عامة ، نتيجة تعدد المنظمات والبرامج، ولان كل منظمـة او حركـة تسعى لتبرير وجـودهـا بمزايدات سياسية و « عقائدية »، وبافتراءات واجتهادات متنوعة ومتجددة.

٣ ـ اتاحة الفرصة لكل القوى صاحبة العلاقة والمصلحة في التدخل ، عن طريق الحاجة الى الدعم والمساندة ، وبسبب حاجة هذه المنظمات الى امكانيات متزايـدة لاثبات وجودها في الساحـة الفلسطينيـة .

وعلى الرغم من كل المساعي التي بذلت ، وعلى الرغم من قيام منظمة التحرير وقيادة الكفاح المسلح والقيادة الموحدة ، فان واقع التعدد ما زال قائما ،وما زال موجودا ، مع ان كل قيادات المنظمات وكل اعضائها تحس بالمشكلة ، وتتحدث عنها وتدعو الى الوحدة .

لماذا اذن لم تتحقق الجبهة الوطنية ؟

ولماذا لم تتحقق الوحدة الوطنية ؟

هنالك ثلاثة اسباب :

اولها : المطامح الذاتية ، ذلك ان الكثير من المنظمات الصغيرة التي تكونت في اعقاب هزيمة حزيران ، والتي لم تكن هنالك مبررات لوجودها غير نزعات ذاتية لدى بعض الافراد الطامحين، كانت تجعل مطامحها دائما الاساس في تعاملها مع الاخرين . وكانت استراتيجيتها تقوم على اساس انها حركات المستقبل ، وان اي تعاون مع المنظمات الاخرى سيفقدها « ميزاتها » وحرية عملها ، وسيسد امامها ابواب النمو والتقدم .

وكان قادة هذه المنظمات ، بفرديتهم ومطامحهم ، يزدادون اعجابا بأنفسهم ، كلما راوا انهم يعاملون على انهم قادة ، وكلما استقبلهم الرؤساء والقادة ، واجتمعوا على الموائد مع قادة الثورة الآخرين ، وكان لكل منهم نفس الكرسي ونفس الصوت الخ .

ثانيها : المصالح الذاتية ، فهنالك القوى السياسية التي ترى في التعدد الفلسطيني مصدر قوة لها . ويعود ذلك الى ان بروز الشعب الفلسطيني قوة موحدة ،مسلحة ومنظمة ومقاتلة ،يفسد الكثير من المخططات السياسية العربية والاجنبية ، ويسحب زمام المبادرة في المنطقة من ايدي قوى قائمة وحاكمة ، ويحرمها من حرية الحركة والعمل ، ولذلك فان هذه القوى ، تشجع التعدد وتسانده ، تغذيه وتبرره . لماذا ؟ لانها من خلال التعدد تستطيع ان تواجه القوى الفلسطينية ، وهي مختلفة ومتناقضة ومتنافسة، ولانها تستطيع ان تلعب لعبة التوازن، وان تشجع قوة على مواجهة

اخرى ، وان تقيم تحالف قوى مقابل قوة نمت وكبرت . وتستطيع هذه القوى ان تمنع اي نشاط لمصلحة الثورة ، بحجة التعدد . كما ان الكثير من « المساعدات » يذهب الى المنظمات الثانوية والصغيرة بحجة او بلا حجة ، علنا حينا ، وسرا في احيان اخرى . واذا اراد مركز من مراكز القوى ان يحاصر قوى الثورة الرئيسية عمد الى تبني قوى ثانوية . كل ذلك في سبيل الدفاع عن استراتيجية هذه الدولة او تلك ، وتحقيق غايات هذا الحكم او ذاك .

لهذا فهنالك الدولة التي خلقت اكثر من منظمة ، وهنالك الدولة التي تتبنى اكثر من منظمة ، على الرغم من ان كل الدول العربية تتحدث عن ضرورة وحدة حركة المقاومة . وهنالك المنظمة التي تتبناها اكثر من دولة .

وهذه المنظمات التي خلقتها دول ، تظل حريصة على بقائها وعلى استقلالها ، وتتأبى التقدم خطوة على طريق الوحدة ، انسجاما مع المخطط السياسي الذي اوجدها . وبما انها تتلقى المساندة على اساس الارتباط بمخطط محدد ، فان خروجها عن هذا المخطط يحرمها من المساندة التي تصل الى تغطية كل مصروفاتها احيانا . وهنا تلتقي المصالح الذاتية لبعض المنظمات مع المصالح الذاتية لبعض الدول لتتكون « تخثرات سياسية » غير قادرة على التفاعل ، وغير قادرة على النمو الحقيقي ، وان كانت تنتفخ او تهزل حسب الظروف والامكانيات ، وحسب قدرة بعض قادتها على التمثيل والتهريج .

والجدير بالذكر ان هذه « التشرذمات السياسية » لا تمثل اتجاهات سياسية وعقائدية ، ولا تعبر عن قلق سياسي وعقائدي وصراعات اجتماعية وتمزقات طبقية ، كما هي الحال بالنسبة لحركات التروتسكيين وانشقاقاتها في اوروبا المعاصرة ، اوالحركات السياسية في روسيا القيصرية بين ١٩٠٥ و ١٩١٧ . فهي ـ فيما عدا الجبهة الديمقراطية ـ ليست تشرذمات طبقية او وطنية ، وليست حركات مثقفين . واذا كانت الحركات الصغيرة في اوروبا

وامريكا وروسيا ما قبل الثورة قد انتجت ادبا سياسيا راقيا، فان هذه المنظمات ليس لديها غير امية سياسية فريدة وفذة .

ثالثها : ضيق الافق السياسي ، ويتمثل فيما يلي :

أ ـ العجز عن الاحاطة بالابعاد الحقيقية للحركة الوطنية ، والعجز عن اتخاذ مواقف ثورية واعية ، منسجمة نظريا وعمليا مع خط الثورة ، وقادرة على تطويرها وتصعيدها .

ب ـ العجز عن وعي التناقضات الاساسية والرئيسية والثانوية ، وعن اتخاذ المواقف المناسبة ، المنبثقة من وعي هذه التناقضات . ولذلك كانت المواقف يسارية جدا ، حين تقتضي الظروف التراجع ، مهادنة عندما تقتضي الظروف الهجوم .

جـ ـ التركيز على الذات وتجاهل دور القوى الاخرى ووجودها . فالحركة ، حتى وهي مجموعة محدودة من الافراد ، بلا خبرة ولا تاريخ في النضال ، ولا خبرة في العمل التنظيمي ، لا ترى في الساحة غيرها . واذا ما افترضت هذه الحركة بأنها تمثل طبقة ، الغت دور الطبقات الاخرى الغاء تاما ، ولم تحاول ان تدرس تكوين هذه الطبقات ودورها التاريخي ، ولم تحاول ان تدرس تكوين الطبقة التي تدعي تمثيلها ، ولا قوتها ولا دورها التاريخي في مرحلة تاريخية معينة .

د ـ اتخاذ المواقف المنسجمة مع المصالح المؤقتة والمطامح الذاتية ، وعدم التفكير بالمصالح الحقيقية البعيدة المدى للشعب، والمطامح الثورية الاصيلة للجماهير . فاذا كانت الجماهير تحس بضرورة الوحدة الوطنية ، اتخذ موقف انفصالي انعزالي ، وجرت محاولة التبرير برفع شعارات خداعة عن ضرورة تحقيق وحدة وطنية حقيقية . واذا كانت الجبهة الوطنية هي الشعار الاساسي للمرحلة ، رفع شعار الصراع الطبقي ، وجرى التركيز عليه ،حتى كأنه ليس هنالك غيره . واذا كان اتخاذ موقف معين يفيد اعلاميا على المدى القصير ، اتخذ هذا الموقف حتى لو كان يضر اعلاميا على المدى الطويل ، وهكذا .

ان ضيق الافق السياسي هذا يكاد يكون ظاهرة عامة ، ويسبب الكثير من المشاكل والملابسات والخلافات .

وهذا يقتضي ان نركز على كشف هذه الاسباب وفضحها ، حتى لو اثار ذلك استنكارا ونفورا ، لاننا نؤمن بضرورة الجبهة الوطنية ، ولاننا نعتقد بأن تكريس التعدد والانعزالية في الحركة الوطنية الفلسطينية ، لا بد من ان يكون من عوامل تهديمها وتخريبها . وهذه قضية لا تجوز المجاملة فيها ، ولا يجوز الصمت لانهما خيانة .

بعد هذا كله ـ ما الذي نعنيه بالجبهة الوطنية ـ الوحدة الوطنية ؟

اننا نعني :

ا ـ لقاء طبقتين او اكثر ، في صراع القوى الطبقية المختلفة من اجل تحقيق اهداف محددة ، من مصلحة الطبقتين المتحالفتين او الطبقات المتحالفة تحقيقها . فلقد كان من مصلحة البرجوازية والبرجوازية الصغيرة والعمال والفلاحين في اوروبا القرن التاسع عشر اسقاط الاقطاع . ولذلك فقد تحالفت هذه الطبقات واسقطت الاقطاع . وفي صين القرن العشرين تحالف العمال والفلاحون مع البرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية من اجل القضاء على الاحتلال الياباني وعلى الاقطاع .. ومثل هذه التحالفات ضرورية في مراحل تاريخية معينة ، من الناحيتين الاستراتيجية والتكتيكية . ولا يمكن ان تحدث ثورات بدونها . والطبقة او الحركة التي تجهل قوانين التحالف هذه مهزومة ولا بد ، لانها لا تعرف الف باء السياسة . ومعرفة قوانين التحالف هذه تستلزم ايضا معرفة حقيقة القوى المختلفة طبقيا وسياسيا ، ومعرفة التغيرات التي تحدث على ميزان القوى الطبقية ، لان معرفة هذا كله ضرورية وهامة عند اتخاذ المواقف السياسية .

ب ـ لقاء احزاب ومنظمات مختلفة ، في ظروف تاريخية معينة ، من اجل تحقيق اهداف محددة . ولقد تكون الاحزاب

المختلفة ممثلة لطبقات مختلفة ، كما قد يكون حزب او اكثر من حزب ممثلا لطبقة واحدة . الطبقةالعاملة قد يكون لها اكثر من حزب . والفلاحون قد يكون لهم اكثر من حزب. والبرجوازية الصغيرة قد تكون لها احزاب . وعلى هذه الاحزاب المختلفة ، احزاب الطبقة الواحدة ، واحزاب الطبقات المختلفة ، ان تتحالف عندما تقتضي مصالح الطبقات التي تمثلها ذلك . فاذا ما اختلفت وتناحرت ، حين يجب ان تتحالف ، حكمت على نفسها بالعزلة عن الجماهير اولا ، وبالتدهور فالانحلال ثانيا ، لانها في مثل هذه الحالة ، تكون قد خانت رسالتها التاريخية ، وخانت جماهيرها .

وبما ان الاحزاب والحركات السياسية هي التعبير عن مصالح الطبقات ومطامحها ، عن تطلعاتها وتمزقاتها ، فان الطبقات تتحالف من خلال الاحزاب والحركات السياسية ، واحيانا من خلال سلطة وحزب او دولة وحركة .

وهذا اللقاء ، يتضمن عادة برنامج عمل ، مكتوبا او مفهوما ، يتراوح بين شروط الحد الادنى او شروط الحد الاقصى للقاء . ويقوم هذا البرنامج على ما يلي :

ا ـ اعتبار ان هنالك طبقات مختلفة وحركات مختلفة ، لها مصلحة في ان تتفق وتتحالف مرحليا .

ب ـ اعتبار ان هذا اللقاء لا يلغي الفروق بين الطبقات ، ولا ينهي التمايز بين الحركات ، وانه لا ينهي الصراعات الطبقية العميقة الجذور ، الطويلة المدى ، وانه يخضعها لشروط جديدة فقط ، ويكيّفها مع الوضع الجديد . فاذا كانت هذه التناقضات رئيسية تحولت الى تناقضات ثانوية ، واذا كانت صراعات مسلحة تحولت الى « صراعات سلمية » ، اي تنافس على تحقيق البرنامج الوطني .

ولا بد هنا من كشف خطل اتجاهين :

اولال : يلغي بديهية التحالف ، لمصلحة طبقة او حركة .

الثاني : يلغي موضوعة « الصراع من خلال التحالف » ،باسم الحركة الوطنية والوحدة الوطنية ، تحت شعارات مختلفة ، اهمها: ضرورة الوحدة الوطنية الشاملة امام العدو .

وهذان الاتجاهان ، يتجاهلان الحقائق الموضوعية ، ويحاولان فرض دكتاتورية طبقة ، تحت شعار الوحدة الوطنية . فالتحالف ضروري واستراتيجي ، والصراع حتمي واساسي ، وهما حقيقتان موضوعيتان وهامتان بنفس المقدار .

جـ ـ اعتبار هذا اللقاء مرحليا ، ومرهونا بشروط معينة .لان التحالف مرهون بظروف واهداف ، وهذه الظروف والاهداف مرحلية . ولا بد من ان نعي هذه الظروف جيدا . ونعني بالمرحلية مدة تاريخية معينة تطول او تقصر نتيجة عوامل داخلية وخارجية ، ونتيجة اختلاف تناسب القوى الطبقية في المجتمع . وهكذا فان التحالف الذي يكون ضروريا في مرحلة ، يصبح معرقلا للتطور في مرحلة اخرى ، والصراع الذي يكون مفيدا في مرحلة يصبح غير مفيد في مرحلة اخرى . وخير مثل نقدمه هنا التحالف والصراع في الصين ، ما بين سنة ١٩٢٧ وسنة ١٩٤٧ . فما بين سنة ١٩٢٧ وسنة ١٩٣٧ كانت الثورة تطرح شعار سقوط الاقطاع والكمبرادور وسادة الحرب ، وكانت تمارس الحرب ضد هؤلاء . وحين بدأ الاحتلال الياباني طرح الحزب الشيوعي الصيني شعار الجبهة الوطنية الواسعة العريضة ، واوقف الصراع المسلح والحرب الاهلية في الداخل . ولكن هذا التحالف كان لا بد ان يتطور بعد ان سقطت المانيا الهتلرية ، وانحسر الاستعمار الياباني سنة ١٩٤٥ . وكان طبيعيا ان يتجدد الصراع مع الكومنتانج . ولقد تجدد فعلا ، وانتهى سنة ١٩٤٩ بسقوط الكومنتانج . وهكذا نرى بأن دخول الاستعمار الياباني وسع اطار الجبهة ، وانحسار الاستعمار الياباني اخرج من الجبهة احد حلفاء الامس وهو الكومنتانج . ولم يكن ممكنا استمرار الجبهة الواسعة العريضة واستمرار الكومنتانج فيها،

لان ذلك كان يعني تجميد الصراع في الصين ، وايقاف حركة التطور والتقدم .

وما دام قيام الجبهة مرحليا ومشروطا ، فمتى تقوم ، وفي اي الحالات ؟

ان الجبهة تقوم في الحالات التالية :

١ ـ حين يكون هنالك احتلال اجنبي ، لان وقوع الاحتلال يجعل من مصلحة الجماهير الواسعة العريضة ، ومن مصلحة الطبقات كلها ، ما عدا شرائح من بعضها ، مقاومته .

٢ ـ حين يكون هنالك حكم اقطاعي او شبه اقطاعي او حكم طغمة عسكرية او سياسية ، وتهب قوى الطبقات المختلفة (البرجوازية ، البرجوازية الصغيرة ، العمال، الفلاحون الخ). منتفضة على هذا الحكم الفظ الشرس المعرقل لنمو المجتمع وتقدمه .

٣ ـ حين يكون هنالك حكم برجوازي ، وتتحرك شرائح من البرجوازية الصغيرة ويتحرك العمال والفلاحون لاسقاطه ، كما حدث في ثورة اكتوبر سنة ١٩١٧ في الاتحاد السوفياتي . وهنا يكون تحالف العمال والفلاحين ضروريا ولازما .

وتقوم الجبهة احيانا بين طبقات متصارعة او حركات متناقضة لاسباب عابرة ، ونتيجة توازنات مؤقتة ، ولا تعمر مثل هذه التحالفات طويلا ، لان استمرارها يعني ان امرا غير طبيعي يحدث .

وفي كل هذه الحالات لا بد ان تتوافر مصلحة للطبقات المتحالفة ، ولا بد ان يخدم التحالف تطور هذه الطبقات ، وتحقيق مهماتها التاريخية .

تبقى قضية هامة ، وهي لمن تكون القيادة ؟ لاية طبقة من الطبقات المتحالفة ؟

ان هذا تقرره ثلاثة عوامل :

الاول : قدرة اية طبقة من الطبقات على القيادة ، وعيها،

تنظيمها ، قواهـا القادرة على القتال ، خبراتهـا السياسيـة ، الدور السياسي الذي تلعبـه الخ .

الثاني : طبيعـة العوامل الخارجية والداخلية والتناقضات الاساسية والرئيسية والثانوية . فالطبقة العاملة ترضى فيظروف تاريخيـة معينة قيادة البرجوازية وهكذا .

الثالث : طبيعـة المرحلة التاريخية . ففي مرحلـة الصراع ضد الاقطاع فياوروبا القرن التاسع عشر كانت القيادة للبرجوازية، وكان مستحيـلا ان تكـون للبروليتاريا . وفي روسيا القـرن العشريـن ، وصين القرن العشريـنناضل لينين وماوتسي تونغ من اجل ان تكـون القيادة للبروليتاريا ، وكان مستحيـلا ان تكـون القيادة للبرجوازيـة في هذيـن البلدين ، وفي هاتين المرحلتين .

وعندمـا انشئت الجبهات الشعبية ، وبعد ذلك خلال الحرب العالميـة الثانية ، كانت هنالـك جبهات محلية ، وجبهات علـى الصعيد العالمي ، وكانت القيادة مشتركـة في الاعم الاغلب ،وتحت قيـادة البرجوازية احيانا ، وتحت قيادة البروليتاريا احيانا .

وبينمـا نجد لينين في روسيا وماوتسي تونغ في الصيـن يركزان على ضرورة قيادة البروليتاريا للثورة نجد هوشي منهيقول: « لا يستطيع الحزب ان يطالب الجبهة بالاعتراف بقيادته لهـا ،عليه بدلا مـن ذلـك ان يكـون العضـو الذي يقدم اعظم التضحيات ، ويثبت انه اكثر الاعضاء نشاطا واخلاصا . ان الجماهير تكتشف اثناء الصراع اليومـي فقط سياسـات الحـزب الصحيحـة وكفـاءته القيادية فقط . وبهـذا يستطيـع ان يفـوز بمركـز القيـادة » (١) .

واذا كان من الطبيعي ان تطمع كل طبقـة الى القيادة ، فـان الطبقـة التي لا تفرق بيـن مطامحها وبين واقعها ، ستقود نفسها الى الهاوية . ذلـك « ان من يطمح الى تولـي دور سياسـي

---

(١) هوشي منه : المختارات الجزء الاول ، منشورات دار الطليعة ، ص ١٧١ .

قيادي ، انما يجب عليه ان يعـــرف كيف يتـأمـل المهمـات السياسيـة » (١) .

وبالنسبة لشعب فلسطين فانه يعيش مرحلة تحتم قيـام الجبهة الوطنية . ومع ذلك فان الجبهة لم تقم . وهنالـك ، فـي ميدان الثورة الفلسطينية ، يبرز الاتجاهـان المنحرفان : التركيـز على طبقـة واحدة ونسيان التحالف ، او التركيز على الوحـدة الوطنيـة وتجاهل الصراع الطبقي .

واذا كنا نستطيع ان نقول بأن هنالـك حركة وطنيـة تقدمية ، فاننا لا نستطيع ان نقول بأن هنالـك حزبا ماركسيـا . والتجمعات التي تدعي الماركسية ليست الا جماعات من اشبـاه المثقفين ، ومن البرجوازيين الصغار الذين لا يشفع « لحماقاتهم » غيـر حسن نيـة الكثيرين منهم . ان كان حسن النية يشفع لاحد فـي السياسـة .

وعلى الرغم من غياب الحزب الماركسي اللينيني ، ومن غياب الطبقة العاملة سياسيا ، فان « ماركسيينا » اللينينيين جـدا يتحدثون عن قيادة البروليتاريا، وسيادة ايديولوجيا البروليتاريا، لا على اعتبار مـا سيكون مستقبلا ، بل على اعتبار ما هو كائـن . واذا كان لا يجوز لاحد ان يتجاهل دور البروليتاريا التاريخـي ، وضرورة قيادتها للجبهة وسيادة ايديولوجيتها في ظروف معينـة ومراحل معينة ، فانه مـا من احد يستطيع ان يفرض قيادتها ، وان يحقق سيادة ايديولوجيتها عندما تكون غائبة سياسيا .

ولكن غيابها السياسي والتنظيمي وحتى الايديولوجـي ، لا يبرز تجاهل دورهـا التاريخي . وهذا يعني ان الجبهـة لا بد ان تكـون جبهـة وطنية واسعـة عريضة، ولكنهـا جبهة ديمقراطية وتقدميـة . فما الذي يتضمنه هذا كله ؟

---

(١) لينين : المختارات : دار التقدم موسكو ص ٣٠٢ ، المجلد الثاني الجـزء الثانـي .

انه يتضمن :

١ ــ ان تكون جبهة تضم كل الذين لهم مصلحة في محاربة الاحتلال الصهيوني . وهؤلاء هم كل ابناء شعبنا ، ما عدا قلة من الخونة والعملاء . فليس هنالك طبقة في الاراضي المحتلة لها مصلحة في بقاء الاحتلال ، لان الاحتلال يدمر الجميع بلا استثناء . فهو يستولي على التجارة والارض ، ويقتل الصناعات والحرف نتيجة تفوقه الصناعي الخ .

٢ ــ ان تكون جبهة ديمقراطية ، وهذا يعني :

أ ــ ان تضم كل القوى الطبقية والسياسية العاملة من اجل التحرير ، مهما كان وزنها الطبقي والسياسي .

ب ــ ان تضمن لكل قوة من هذه القوى امكانيات النمو وحق الاستقلال التنظيمي وحرية التعبير والمناقشة والنقد . لان الجبهة ان لم توفر هذا كله حكمت على نفسها بالتبعثر والافلاس .

٣ ــ ان تكون جبهة تقدمية ، وهذا يعني :

أ ــ انها تمثل القوى النامية في المجتمع ، وتتيح لها امكانيات النمو . واهم هذه الامكانيات : الحريات السياسية ، (حرية المناقشة والنقد ، حرية التنظيم ، حرية التدريب والتسليح).

ب ــ انها تحارب قوى التخلف ضمن برنامجها الاستراتيجي والتكتيكي . وقوى التخلف هذه قد تكون قوى اجنبية ، وقد تكون قوى محلية ، وقد تكون الاثنين معا .

على هذه الاسس فقط ، يمكن ان تقوم جبهة وطنية واسعة عريضة ، تتوافر فيها شروط الاستمرار والتقدم . واذا اتبعنا هذه الاسس سهل حل كل الاشكالات السياسية والتنظيمية .

العلاقـــات

مـع الجماهير العربية

الثورة الفلسطينية جزء من الثورة العربية ، وطليعـة هـذه الثورة . هذا مـا تؤكده الوقائع والاحداث ، ومـا تؤكده الثـورة الفلسطينية من خلال بياناتها ومواقفها . ولكـن هذه الثورة مـا حقيقة علاقتهـا بالانظمـة العربية وبالجماهير العربية ؟

قضية تستحق ان نقف عندها ، وان نوليها الاهتمام المناسب، لان العـلاقات الصحيحـة بيـن الثورة الفلسطينيـة والجماهير العربيـة والانظمـة العربية ، هي التي تضمـن لهذه الثورة امكانيات التقـدم والانتصار .

وعلى الرغم من ان هذه القضيـة كانت تشغل بال الكثيرين، وكانت موضوع همس في الكواليس وموضوع مناقشات خاصـة، متضاربة وحادة احيانا ، فانهـا لم تكـن موضوع مناقشة عامـة، واضحـة وصريحة . السبب بالطبع ، التحسب من الحساسيات، والحرص على عدم الدخول في دوامـة التناقضات السياسيـة العربيـة .

واذا كان هذا مبررا ، فيما مضى ، نتيجة ظروف موضوعية كثيرة ، ونتيجة الشرط الذاتي للثورة الفلسطينية ، فانه لا يجوز ان يستمر التبرير بعد الان . كانت الثورة فيما مضى بحاجة الى تهدئة الامور وتجميد الخلافات ، مهما كانت ، لتتاح لها فرصة اكبر للنمو والاستعداد . وكانت الثورة ، بسبب ذلك ،مستعدة لقبول السياسات العربية ، كما هي ، وغير مستعدة للمواجهة ، الا حين تصبح السياسات العربية خطرا مباشرا على الثورة . ولكن المرحلة الجديدة ، مع انها تحتاج الى تخفيف حدة النزاع والصراع على الجبهة الداخلية ، وفي المؤخرة ،وعدم الانجرار الى معارك جانبية ، فانها تقتضي التأكيد على حقيقتين :

الاولى : ضرورة ان تكون المناطق المحيطة بفلسطين، الاردن ، سوريا ولبنان بالذات ، مناطق تملك الثورة حريتها الكاملة في التحرك فيها ، دون عوائق او عقبات ، لكي تستطيع الثورة انتحرك الداخل وتمده باسباب الحركة ، ولكي تكمل بناء الحزام المسلح الذي تقيمه حول العدو ، وتعده للهجوم كما تعده للصراع .

الثانية : ضرورة ان يوضع برنامج للعمل ، يحقق الوحدة الوطنية الفلسطينية من جهة ، ويحقق جبهة وطنية مع الحركات الوطنية والجماهير الوطنية في المناطق المحيطة بالاحتلال خاصة ، وبالبلاد العربية عامة . ومثل هذا البرنامج ضروري لتحقيق التفاعل الحقيقي بين الثورة وجماهيرها الفلسطينية والعربية .

ومن الضروري العمل بسرعة لانجاز هاتين الغايتين ، لان انجازهما هو الذي يضمن توافر امكانيات تتيح للثورة التقدم خطوات الى الامام . ان انجازهما يضمن :

أ ـ توفير مناخ اكثر ملاءمة للتلاحم مع الجماهير .

ب ـ توفير امكانيات بشرية ومادية اكبر ، تجعل قدرة الثورة على تنمية قواها اكبر .

جـ ـ توفير امكانيات سياسية اكبر لحماية الثورة من المؤامرات الداخلية وتحركات القوى المضادة .

وان مـا يزيـد من اهمية هذا كله ، هـو المعرفـة الاكيـدة بمعطيات الواقع ، وشعورنـا بأن الايام المقبلة تحمل لنـا مفاجآت كبيرة . ولا بد لنـا في هذا المجال من التذكير بأمرين :

الاول : تأزم الاوضاع في بعض البلدان المحيطـة بالعـدو ، نتيجة عجز الحاكميـن فيها عـن التكيف مع الثورة الفلسطينية ، ونتيجة ارتباطهم بالامبرياليـة وخضوعهم لمخططاتهـا ، ونتيجـة فزعهم من نمو التنظيمـات الجماهيرية واتساع نطاق العمـل الشعبي المسلح . ان هذا التأزم يهدد بالانفجار في ايـة لحظـة . وهنالـك قوى مضادة للثورة تتهيأ او تهيـأ للعب دور حاسم فـي مواجهـة قوى الثورة المتنامية . ان قوى مرتزقة تعد ، ومناخـا ملائمـا يخلق ،من اجل تحرك القوى المضادة على نطـاق واسـع لضرب قوى الثورة .

الثاني : تطور العمليات على الصعيد العسكري ، وهـذا يستدعي توقع قيام العدو بحملات اقتحام محـدودة او واسعـة النطاق ، من اجل تطهير بعض المناطق ، وتأميـن السيطـرة الاستراتيجيـة على مناطق اخرى .

ان العلاقـات ما زالت حتى الآن علاقات تتحكم بها العفويـة ويسودهـا الارتجال . وليس هنالك ، غيـر الحس والحـدس ، مقاييس للتفريق بيـن الخطأ والصواب ، بيـن التأييد والخذلان، بيـن التقصير وعدم التقصير . وليس هنالـك مقاييس ومبادىء تتيـح للجماهيـر ان تحكـم ، وتتيـح للاطـراف المختلفـة ان تتحاسـب .

لذلك فان اول ما يجب ان تفعله الثورة ، هو تحديد برنامج للعلاقات ، وتحديد اسس ومبادىء للتعامل . ذلك انها ان لم تحدد هذا البرنامج ، وهذه الاسس والمبادىء فسيبقى سيرها عشوائيا : خطوة الى الامـام ، خطوات الى الوراء ،خطوات الى اليسار ،خطوة الى اليميـن .

ومثل هذا البرنامج لا بد ان ينطلق من الخطوط الاساسية التالية :

اولا : الثورة الفلسطينية جزء من الحركة الوطنية العربية ، وهي طليعة الزحف من اجل التحرير في المنطقة ، وعليه فان التحام الثورة مع الجماهير في الوطن العربي كله ، ومع الحركات الوطنية ، ضرورة اساسية لتقدمها واستمرارها وانتصارها وهذا الالتحام لا بد ان يتمثل بصيغ ملائمة من العمل ، تبدأ من التنسيق مع الحركات القائمة هنا وهناك وتنتهي بالمشاركة الجماهيرية ، كل اشكال المشاركة في المعركة .

والثورة الفلسطينية مطالبة في هذا المجال بأمرين :

اولهما : بلورة هذا الموقف ، وتحديد مضمونه السياسي ، وتكريسه جزءا اساسيا من العمل السياسي في اوساط الجماهير .

ثانيهما : العمل على اكتشاف الاساليب المناسبة لتعبئة الجماهير العربية ، واكتشاف الاساليب المناسبة لمحاربة الاتجاهات الاقليمية التي لا بد ان تنمو وان تتطور ، كلما هددت الحرب مصالح طبقات معينة ، وأمن فئات معينة .

ثانيا : ان مقاومة الاحتلال الصهيوني في فلسطين المهمة الاكثر الحاحا ، من بين مهمات الحركة الوطنية في البلاد العربية . وهذا يستلزم :

أ ـ ان تساهم الحركات الوطنية مساهمة جادة وفعالة في المقاومة .

ب ـ ان تساهم الحركات الوطنية في حماية الثورة من مؤامرات القوى المضادة في البلاد العربية .

جـ ـ ان تحدد علاقاتها من الانظمة والدول والمؤسسات خارج القطر الذي تعمل فيه او داخله ، انطلاقا من المبادىء السالفة الذكر . وهذا يعني ان تكشف وتفضح كل الانظمة وكل المؤسسات التي تسعى لعرقلة مسيرة الثورة ، وان تحارب القوى التي تقف حجر عثرة في طريق الثورة ، منسجمة مع الخط العام

لسياسة الجبهة الوطنية العربية ، فيما يتعلق بالتحالف والصراع .

وعليه يجب ان يحدد البرنامج المهمات الاساسية للحركة الوطنية العربية ، وان يحدد خطها الاستراتيجي والتكتيكي ، وان يقرر ان الالتزام بهذا البرنامج او عدم الالتزام ، هو المقياس الاساسي للتفريق بين الوطنية والخيانة ، بين الثورية والانحراف .

ثالثا : ان برنامج الحركة الوطنية هو برنامج كل الكادحين وكل الطبقات ذات المصلحة في مقاومة الاحتلال الصهيوني ،ومحاربة السيطرة الاجنبية من اي نوع كانت . وهذا يعني :

أ ـ ان الطبقات المدعوة للمشاركة في الجبهة هي العمال والفلاحون والبرجوازية الصغيرة والشرائح الوطنية من البرجوازية وكل الاشخاص المعادين للاحتلال مهما كانت طبقاتهم . وتشارك هذه الطبقات في الجبهة الوطنية من خلال احزابها ومنظماتها السياسية .

ب ـ ان الجبهة الوطنية الواسعة العريضة هي الصيغة الاكثر ملاءمة للعمل ، والاكثر قدرة على التعبير عن مصالح الطبقات المتحالفة ، وان المساس بالجبهة خروج عن الخط الوطني والطبقي للطبقات المتحالفة .

جـ ـ ان الجبهة الوطنية الواسعة العريضة هي صيغة للعمل داخل كل قطر من الاقطار ، وصيغة للعمل العربي الموحد .

د ـ ان الجبهة الوطنية الواسعة العريضة يمكن ان تشمل اشكالا مختلفة من التعاون والتنسيق ، نتيجة ظروف موضوعية مختلفة في البلاد العربية ، ولكن نواتها يجب ان تضم عددا من الحركات الاساسية في البلاد العربية .

رابعا : ان برنامج التحالف برنامج ديمقراطي وتقدمي وهذا يعني انه :

أ ـ برنامج يستهدف تحقيق الثورة الوطنية الديمقراطية في

البلاد العربية كلها (انهاء الاحتلال الاجنبي والسيطرة الاجنبية ، العمل لتحقيق الوحدة العربية ، انهاء مخلفات القرون الوسطى) .

ب ـ برنامج يتيح لكل القوى المنسجمة مع هذا الخط ان تعمل وان تنمو وان تقاتل ، وان تنظم نفسها ضمن اطار التحالف ، وضمن الخط العام الاساسي للجبهة الوطنية .

خامسا : ان الهدف هو التحرير ، فيما يتعلق بفلسطين خاصة والبلاد العربية عامة ، وان هذا الهدف لا يجوز التراجع عنه او المهادنة فيه . ولذلك فان :

أ ـ القتال يجب ان يستمر حتى النصر التام .

ب ـ الحلول الاستسلامية ، وكل شكل من اشكال الحلول المناقضة لحقوق شعب فلسطين القومية ، مرفوضة ومردودة اطلاقا .

جـ ـ كل الذين ينحرفون عن هذا الخط ، بالدعوة للاستسلام او بتبرير الصلح والسلام خونة وعملاء يجب ان تحاسبهم الجماهير .

سادسا : ان الاسلوب الملائم والفعال والناجع هو حرب التحرير الشعبية ، حرب الجماهير ضد الغزاة المحتلين . وهذا يتضمن :

أ ـ الانطلاق من ان الحرب الشعبية هي وحدها القادرة على تحقيق التحرير ، نتيجة عدد من الظروف الموضوعية .

ب ـ اعداد الجماهير للحرب الشعبية الطويلة المدى ، بتأمين امكانيات التثقيف والتدريب والتسليح اللازمة،وبتعهد الممارسات الجماهيرية الثورية تعهدا ثوريا واعيا .

جـ ـ الاستفادة من كل خبرات الشعوب ، وكل الممارسات الجماهيرية ، الوطنية والاجنبية ، في هذا المجال .

سابعا : ان اعتماد الحرب الشعبية اسلوبا ، لا يلغي دور الجيوش النظامية القائمة ، ولا يعفيها من مسؤولياتها . ولهذا فان هذه الجيوش مطالبة بما يلي :

أ ـ ان تلعب دورا اساسيا في مواجهة قوى العدو ، وفي رد هجماته ، وضرب مواقعه ، وخاصة الواقع ضمن مدى النيران منها ، والقيام بهجمات مستمرة ومتواصلة على هذه المواقع .

ب ـ ان ترفع مستوى تدريبها وتسليحها وتنظيمها ، وان ترفع مستوى قدرات قادتها وجنودها ، وان تطور خبراتهم القتالية ومعنوياتهم .

جـ ـ ان تتكيف مع الحرب الشعبية الطويلة المدى ، وان يعاد تثقيفها باحترام الجماهير والثقة بها ومحبتها ، وتقدير امكانياتها حق قدرها ، واحترام ممارساتها .

ان هذه الخطوط النظرية ، العامة والبسيطة ، تبدو سهلة التحقيق من الناحية النظرية ، ولكنها في الواقع صعبة التطبيق. لماذا ؟ للاسباب الثلاثة التي ذكرناها عند الحديث عن الجبهة الوطنية بين المنظمات الفلسطينية ، وهي المصالح ، المطامح ، ضيق الافق السياسي . ولذلك فان تحقيق هذا البرنامج يحتاج الى نضال دائب ووعي سياسي نافذ .

ولكن هنالك صعوبة حقيقية في هذا المجال هي مشكلة علاقة الانظمة العربية بالثورة الفلسطينية وبالجماهير العربية . فالانظمة تريد ان تمر علاقة الثورة الفلسطينية بالجماهير العربية من خرم ابرتها . وهي تعتبر ان اي تجاوز لهذا الخرم هو تجاوز لها واعتداء على وجودها وشرعيتها . ولما كانت الثورة الفلسطينية فيلا كبيرا لا يدخل من خروم الابر ، اصبحت القضية بالنسبة لهذه الانظمة واضحة ومحلولة : ان تضغط الثورة الفلسطينية نفسها لتصبح قادرة على ولوج خرم الابرة ، وان تمنع نفسها من ممارسة اية علاقة مع الجماهير العربية خارج « الخرم الرسمي » .

ولما كان الخرم الرسمي مستعصيا على شعرة من شعرات الفيل لا على الفيل كله ، اصبحت علاقة الثورة الفلسطينية بالانظمة العربية علاقة تلامس وتضاد : الفيل يدفع نحو خرم

الابرة فيرتد دون اية نتيجة .

وهكذا تقف « الانظمة » حاجزا بين الثورة الفلسطينية والجماهير العربية . ووقوفها حاجزا يحد من امكانيات التفاعل المنظم ، ويعرقل نمو العلاقات وتطورها . و « الانظمة » عموما عاجزة ومقصرة ، تغطي قصورها وعجزها بالبيانات والادعاءات . والثورة لا تستطيع ان تربط مصيرها بالقصور والعجز والمبالغة . فما العمل ؟

انها مهمة شاقة وعسيرة ولكن الثورة مطالبة بالعمل على تحقيقها . وتتلخص هذه المهمة في ضرورة النفاد الى الجماهير ، مهما كانت الظروف ، ومهما كانت النتائج ، لان تقنين علاقة الثورة بالجماهير العربية مؤامرة تستهدف خنقها وقتلها . والثورة لا يجوز ان تنتظر مقتلها ، وهي تدري ذلك .

الا ان النفاذ الى الجماهير ، لا يعني بالضرورة الصدام مع الحكومات كل الحكومات مرة واحدة . ولا يعني البدء بالتحريض من اجل حرب اهلية عربية شاملة ، لان مثل هذا السلوك سيقود حتما الى فجيعة . ان تطوير العلاقات مع الجماهير يجب ان يعني دفع الانظمة الى الامام بمقدار تطور العلاقات مع الجماهير . وهكذا تكون الانظمة القادرة على التطور والتكيف قادرة على الاستمرار والتقدم ، وتسقط الانظمة التي تعجز عن التطور والتكيف .

ولكي يكون الوضع طبيعيا ، وتكون المسيرة سليمة ، لا بد من ان تقوم الجماهير العربية ، من خلال ممارساتها السياسية ، ومن خلال منظماتها الشعبية بعملية التطوير هذه . وهذا يقتضي نمو حركة وطنية جماهيرية قادرة على الاضطلاع بهذه المسؤولية الكبيرة .

هذا الكتاب

« الثورة الفلسطينية : أبعادها وقضاياها » : محاولة منذ سنة ١٩٧٠ لتحديد أبعاد الثورة الفلسطينية وقضاياها ، ولرسم أفق المستقبل • وقد جاءت التطورات اللاحقة ، لتؤكد اهمية الافكار المطروحة •

ولقد حاول المؤلف في مقدمته لهذه الطبعة الثانية ، ان يرصد التطورات اللاحقة ، ١٩٧٠ ـ ١٩٧٨ ، وان يقيّم الوضع الراهن • كما تناول بعض الموضوعات الواردة في الكتاب بالمناقشة •

L 15
L 15
ل•

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت